

منهاج العابدين ، تأليف الغزالى ، محمد
ابن محمد ـ ٥٠٥ هـ . كتب فى القـــرن
التاسع الهجرى تقديرا .

١٣١ ق ١٧،١٦ س ٢١×١٦ سم
نسخة حسنة ، بأثنائها نقص ، خطهــــا
نسخ حسن طبع .

الاعلام ٧ : ٢٤٧ كشف الظنون ٢ : ١٨٧٦

١ ـ الفلسفة الاسلامية فى العصور الوسطى
أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ

الفرج علمه النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه

لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان الله رب السماوات

ورب العرش العظيم ما شاء الله كان [illegible] الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد

[illegible] وعلى جميع الأنبياء والمرسلين [illegible] وبالله نتوكل على الله لا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله وكفى وإن يريدوا أن يخدعوك فإن

حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت [illegible] يا أيها

النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا

إلى الله راغبون الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم

إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء

واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله

إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت

من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين

[illegible] علمه النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] عند [illegible] مراده [illegible]

[illegible] ذلك [illegible] وأعظمها ما [illegible] من إمام المسلمين [illegible] الله

الله سبحانه [illegible] التوفيق وأسباب الإعانة والإرشاد [illegible] هذا [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بالخير

املى علينا الشيخ الامام السعيد حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالي رحمة الله عليه هذا المختصر وهو اخر كتاب
صنفه ولم يبحث منه الا خواص اصحابه

واوله

الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر
السموات والارض بقدرته ودبر الامور في الدارين بحكمته
وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين
والدليل لايح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى اله الابرار
الطيبين اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين
اعلموا اخواني اسعدكم الله وايانا بمرضاته ان العبادة ثمرة
العلم وفايدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الاولياء وطريق
الاقوياء وقسمة الاعزه ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام
وحرفة الرجال واختيار ذوي البصاير وهي سبيل السعادة ومنهاج
الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال تعالى ان هذا كان
لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا طريقها

اول

من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني كثيرة العقبات شديدة
المشقات بعيدة المسافات عظيمة الافات كثيرة العوايق والموانع
خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع
والاتباع وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة فيصير تصديقا
لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره
وان النار حفت بالشهوات وقد قال عليه السلم الا ان الجنة حزن
بربوة الا وان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف
والزمان صعب وامر الدين متراجع والقوى قليلة والشغل كثيرة
والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر
بعيد والطاعة هي الزاد فلابد منها وما هي فايتة فلا مرد لها فمن
ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع
الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب اذا والله معضلا
والخطر عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز
من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود
ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله تعالى لمعرفته
ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى
رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اوليك

الفائزين برحمته ۝ ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا
النظر في كيفية قطعها وما يحتاج اليه من الاهبة والعدة والآلة والحيلة
من علم وعمل عسى ان نقطعها بحسن توفيق الله تعالى في سلامة ولا ننقطع
عقباتها المهلكة فنهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذا
الطريق وسلوكها كتبا كاحياء علوم الدين والقربة الى الله عز وجل
وغير ذلك واحتوت على دقائق من العلوم اعتاصت على افهام العامة
فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوا فاي كلام افصح من كلام رب العالمين
وقد قالوا اساطير الاولين الم تسمع قول زين العابدين علي بن الحسين بن علي
رضي الله عنهم اذ يقول

اني لاكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا

واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله تعالى
بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني
لتصنيف كتاب يقع عليه وتحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي يجيب
المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا

لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار معاملات الدين وهو الذي انا له
واصف فاقول وبالله التوفيق ۝ ان اول ما تنبه العبد للعبادة ويحرك
لسلوك طريقها يكون خطرة سماوية من الله عز وجل وتوفيق خاص الهي وهو المعني
بقول الله سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واشار اليه صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام فقال ان النور اذا دخل
القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف بها
فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل شيء اني اجد نعما علي بضروب من
النعم كالحيوة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات
وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات وان لهذه منعما يطالبني بشكره
وخدمته فان اغفلت ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني باسه ونقمته
وقد بعث الي رسولا انذر بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور
البشر واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما يامر وينهى
وانه قادر على ان يعاقب ان عصيته ويثيب ان اطعته عالم باسراري
وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع
في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل بل اول البديهة فيخاف
على نفسه عنده ويفزع وهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة

وتنقطع عنه المعذرة وتوجه الى النظر والاستدلال فمنهاج العبد عند
ذلك يقلق وينظر في طريق الخلاص وحصول الامان له مما وقع بقلبه او سمع
فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلايل والاستدلال بالصنعة على
الصانع ليحصل له العلم واليقين بما هو الغيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره
ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة
ليكون من الامر بصيرة فيأخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلايل
ووفور التامل والتعلم والسؤال من علماء الآخرة الذين هم ادلا الطريق
وسرج الامة وقادة الايمة والاستفادة منهم واستمداد الدعا الصالح
منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله تعالى فيحصل
له العلم اليقين بالغيب وهو انه له الها واحدا لا شريك له هو الذي خلقه
وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه شكره وامره بخدمته وطاعته بظاهره
وباطنه وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان
اطاعه وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك بعثته هذه
المعرفة واليقين بالغيب على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا
المولى المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف
يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه
المعرفة بالله سبحانه وتعالى يتعرف ما يلزمه من الفرايض الشرعية ظاهرا

وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرايض انبعث ليأخذ في العبادة
ويشتغل بها فينظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب هذا حال
الاكثر من الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية
متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها
واتطهر من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة فيستقبله هاهنا
عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود منها
فياخذ في ذلك باقامة التوبة في حقوقها وشرايطها الى ان يقطعها
فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة
ليأخذ فيها فنظر فاذا حوله عوايق محدقة به كل واحد منها يعوقه عما
قصد له من العبادة بضرب من التعويق فتأمل فاذا هي اربع الدنيا
والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوايق
وازاحتها والا فلا يتأتى له امره من العبادة فاستقبلته هاهنا عقبة
العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد عن
الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس واما النفس فاشدها اذ لا يمكنه
التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية
والالة ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصد العبد من العبادة
والاقبال عليها اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فيحتاج

اذن الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى
فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المهالك والمفاسد فياخذ اذن
في قطع هذه العقبة ويستعين بالله عز وجل ذكره على ذلك فلما فرغ
من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض تعترضه فتشغله
عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك كما
ينبغي فتامل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول لا بد
لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق ايضا
فمن اين قوامي ورزقي والثاني الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه
او يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان عواقب
الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها بانه ربما يقع في فساد او مهلكة الثالث
الشدايد والمصايب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة
الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم
شدة تستقبله وكم من هم وحزن يعترضاه وكم من مصيبة تتلقاه
الرابع انواع القضا من الله سبحانه وتعالى بالحلو والمر يرد عليه حالا
فحالا والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته هاهنا
عقبة العوارض الاربعة فيحتاج الى قطعها باربعة التوكل على الله سبحانه
وتعالى في موضع الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند

نزول الشدايد والرضا عند نزول القضا فاخذ في قطع هذه العقبة
باذن الله تعالى وحسن تاييده فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد العبادة
فنظر فاذا النفس فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث لخير كما يحق وينبغي
وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى سرف وفضول
وبله وجهالة فيحتاج هاهنا معها الى سايق يسوقها الى الخير والطاعة
وينشطها فيها وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنها وهما
الرجا والخوف فالرجا في عظيم ثواب الله تعالى وحسن ما وعد من
انواع الكرامة وتذكر ذلك سايق يسوقها فيبعثها على الطاعة
ويحركها لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله عز وجل وصعوبة
ما اوعد به من انواع العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية
ويجنبها ويفترها عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته هاهنا
فيحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله عز
وجل فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عايقا
ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة فاقامها وعانقها
بلزام الشوق والرغبة فاداها فنظر فاذا هو تبدو لهذه العبادة
التي احتمل فيها كل ذلك افتان عظيمتان وهما الريا والعجب تارة
يراي بطاعته الناس فيفسدها واخرى يستعظم ذلك ويكرم نفسه فيه

فيعجب بنفسه فيحبط العبادة به ويتلفها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج
الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة ونحوها والتسليم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع
هذه العقبة باذن الله تعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار
وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت العبادة له كما يحق وينبغي وسلمت من
كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحر منن الله واياديه من كثرة ما انعم عليه
من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة وخاف ان يكون منه
اغفال للشكر فيقع في الكفران فيحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي
مرتبة الخدم المخلصين لله عز وجل وينزع عنه تلك النعم الكريمة من ضروب
الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد
والشكر فاخذ فيها فقطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه
فلما فرغ من هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه
فلم يسر الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل وصحرا الشرف وعرصات المحبة
ثم وقع في رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة
التقريب ومجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة
ويتقلب في طيبها ايام بقاياه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلب في العقبى
ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا فحن الى الموت

واستكمل الشوق الى الله الا الاجل

فاذا هو برسل رب العالمين اليه يردون عليه بالروح والريحان والبشرى
والرضوان من عند رب راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس
وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية المفنية الى الحضرة الالهية ومستقر
رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما وملكا عظيما ويلقى
هنالك من سيده الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من اللطف والعطف والترحيب
والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين كل يوم في زيادة
الى ابد الابدين فيا لها من سعادة عظيمة ويا لها من دولة عالية ويا له من
عبد مسعود وامر مغبوط وشان محمود نسال الله البار الرحيم سبحانه
ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة وما ذلك على الله بعزيز وان
لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذه الامر الا وصف او سماع او تمني
بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمنا من العلم حجة علينا يوم القيمة وان يوفقنا
جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم
الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم
الآن ان الحاصل من الجملة سبع عقبات

الاولى عقبة العلم	الثانية عقبة التوبة
الثالثة عقبة العوائق	الرابعة عقبة العوارض
الخامسة عقبة البواعث	السادسة عقبة القوادح
السابعة	عقبة الحمد والشكر

وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى الجنة ونحن الآن نتبع هذه العقبات
بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة من هذا الشأن بشرح موجز الغزالي رحمه
في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله تعالى ولي التوفيق والتسديد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

الباب الاول

في عقبة الاولى وهي عقبة العلم

فاقول وبالله العون والتوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا
وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة
جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين
ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت
الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق فتامل آيتين
من كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان
الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لا سيما
علم التوحيد والآية الثانية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال اليها فاعظم
بامرين هما المقصود من خلق الله تعالى في الدارين فحق العبد ان لا
يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما

من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم
اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم
احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال عليه السلم ان فضل العالم
على العابد كفضلي على امتي وقال عليه السلم الا ادلكم على اشراف اهل
الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان لا شيء اشرف
جوهرا من العلم ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء
منثورا فان العلم بمنزلة الشجر والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرف
للشجرة المثمرة اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذا لا بد
للعبد من العبادة ليسلم شرف العلم ولا بد للعبد من ان يكون له من
كلي الامرين حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا العلم
طلبا لا تضرون بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضرون
بالعلم ولما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم
لا محالة فانه الاصل والدليل ولذلك قال عليه السلم العلم امام العمل
والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقدمه على العبا دة
لامرين احدهما لتسلم لك العبادة ولتحصل فانك اولا يجب ان تعرف
المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات ذاته
وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ

بالله مما خالف الحق فيكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك
من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من كتب احيا
علوم الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية
على ما امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك
وكيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هي وكيف يجب ان تفعل ام كيف تجتنب
معاصي لا تعلم انها معاص لئلا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية
كالطهارة والصلوة والصوم وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها
حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك
وصلاتك او يخرجهما من كونهما واقعين على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك
وربما يعترض لك وانت لا تجد من تساله عن ذلك وانت ما تعلمته ثم مدار
هذا الشان ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان
تعلمها من التوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبة والاخلاص
وغير ذلك مما سياتي ذكره ان شاء الله ويجب ان تعلم مناهيها التي هي
اضداد هذه الامور كالسخط والامل والريا والكبر لتجتنب ذلك فان
هذه فرايض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه
العزيز على لسان نبيه محمد عليه السلم كما قال الله عز وجل وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما

صبرك الا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين وقوله تعالى وتبتل اليه
تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر
بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم والصلوة وتركت هذه الفرايض
والامر بهما من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيا منها
بفتوى من اصبح بعاجل حظه مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر معروفا
ومن اهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نورا وحكمة وهدى
واقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام ٥ اما تخاف ايها
المسترشد ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل
بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء فربما انت مصر على معصية
من المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام او شراب او
نوم تبتغي به قربة الى الله تعالى فتكون في لا شيء واشد من ذلك كله
انك تكون في امر الاصل والامل معصية محضة فتظنه نية خير لجهلك
بالفرق بينهما او تقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط
فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل وتكون في ريا محض وتحسبه حمدا
الله تعالى ودعوة الناس الى الخير فتاخذ تعد على الله تعالى المعاصي
بالطاعات وتحسبه الثواب العظيم في موضع العقوبات فيكون
في غرر عظيم وغفلة قبيحة وهذه والله معصية فظيعة للعالمين ٥

من غير علم ثم مع ذلك ان الاعمال الظاهرة علايق على المساعي الباطنة تصلحها
وتفسدها كالاخلاص والريا والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعلم هذه
المساعي الباطنة ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز
منها وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته طاعات
الظاهر والباطن فلا يبقى في يده الا العناء والكد وهذا هو الخسران المبين
ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من
صلوة على جهل فان العابد بغير علم يفسد اكثر مما يصلح وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلم من كلامه انه يلهمه السعدا
ويحرمه الاشقيا والمعنى بهذا والله اعلم ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم
العلم ثم يشقى ويتعب في العبادة على خبط فما يكون له من ذلك الا العنا
نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ٥ ولهذا عظمت عناية العلما الزهاد
والعاملين بالعلم ورضي الله عنهم خاصة من بين ابناء الناس فان مدار
امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم
وهذا يكون نظر اولى الابصار واهل التاييد والتوفيق فاذا تبين لك
بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فيلزم
اذن تقديمه في شان العبادة واما الخصلة الثانية التي
توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله ومهابته قال

8

الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق
معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وخدمته فصار العلم
يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله تعالى وليس
ورا هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم ارشدك
الله يا سالك طريق الاخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ٥
ولعلك ان تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله عليه انه
قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض لازم
وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان
العلوم التي طلبها فرض في الجملة ثلثة علم التوحيد وعلم السر
اعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة واما حد الجب
من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار
ما تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها عالما قادرا حيا متكلما
سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن
دلالات الحدث متفردا بالقدم عن كل محدث وان محمدا
صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله
تعالى وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة ثم مسايل في شعار السنة
يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله تعالى ما لم يات به كتاب

قال النبي
صلى الله عليه
من ترك وقـ
من الصلاة عـ
ذبح نفسه
بغير سكين

ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد موجود
اصلها في كتاب الله تعالى وقد ذكرها شيوخنا رحمهم الله في كتبهم التي
صنفوها في اصول الديانات، وعلى الجملة كل ما لا تامن من الهلاك مع جهله
فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه [illegible] هذه وبالله التوفيق واما
الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل
لك تعظيم الله سبحانه تعالى والنية والاخلاص وسلامة العمل وعامة ذلك
ياتي في اثناء كتابنا هذا ان شاء الله تعالى واما من علم الشريعة
فكل ما يتعين لك فرض فعله وجب عليك معرفته لتوديه كالطهارة
والصلوة والصوم فاما الحج والجهاد والزكوة ان تعين وجب عليك
علمه لتوديها والا فلا فهذا حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة
ويتعين فرضه بحيث لا بد له من ذلك فان قلت هل يفترض علي ان
نتعلم من علم التوحيد ما انقض به جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام
وانقض جميع البدع والزمهم حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على
الكفاية انما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير
وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقايقه والاتيان
به على جميع مسايله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين
تخاف ان تقدح في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما

ثالث كراس

امكن من الكلام المقنع واياك والمماراة والمجادلة فانه داء محض لا دواء
له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لم تفلح ابدا الا ان يتغمده الله برحمته
ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يحل
الشبهة ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق
عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عن من سواه ٥ وكذلك
لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب القلب الا ما يفسد
عليك عبادتك فيجب معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص
والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتوديه واما
ب ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة ساير ابواب الفقه من البيوع والاجارا
والنكاح والطلاق والجنايات وانما كل ذلك فرض على الكفاية ٥
فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير ما علم
تعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى
بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم سبحانه وتعالى
ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة كؤود ولكن بها
تنال المطلوب والمقصود ونفعها كثير وقطعها شديد وخطرها
عظيم كم من عدل عنها فضل وكم من سلكها فزل وكم من تايه فيها متحير
وكم من حاير منقطع وكم من ساير قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد

فيها سبعين سنه والامر كله بيد الله عز وجل واما نفعه فعلى
ما ذكرنا من شدة الحاجة للعبد اليه وبناء امر العبادة كله عليه
لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روى ان الله تعالى اوحى
الى داود عليه السلم فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهى
وما العلم النافع قال ان تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال
قدرتى على كل شى فان هذا الذى يقربك الى ۝ وعن على
بن ابى طالب رضى الله انه قال ما يسرنى انى لو مت طفلا وادخلت
الجنه ولم اكبر فلم اعرف ربى فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية
واكثرهم عبادة واحسنهم فى الله نصيحة ۝ واما شدته فابذل نفسك
فى الاخلاص فى طلب العلم وليكن ان طلب طلب دراية لا طلب رواية
واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس
اليه ويجالس به الامرا ويباهى به النظرا ويصيد به الحطام
فتجارته بايره وصفقته خاسره قال ابو يزيد البسطامى
عملت بالمجاهده ثلثين سنة فما وجدت شيا اشد على من العلم وخطره
واياك ان تزين الشيطان فيقول اذا كان قد ورد هذا الخطر
العظيم فى العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك فلقد روى عن النبى
عليه السلم انه عليه السلم قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها

الفقرا قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم ۝ فمن لم يتعلم العلم
لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى
عبادة ملائكة السموات بغير علم كان من الخاسرين فتشمر فى طلب
العلم بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملال فانت فى
خطر الضلال والعياذ بالله تعالى ۝ ثم جملة الامر انك اذا نظرت
فى دلايل صنع الله تعالى وامعنت النظر علمت ان لنا الها قادرا
عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام
والعلم والارادة مقدسا عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات
المحدثين ۝ ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين لا يشبه شيا من خلقه
ولا يشبهه شى ولا يتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث
والآفات ونظرت فى معجزات الرسول عليه السلم واعلام نبوته فعلمت
انه رسول الله وامينه على وحيه صلى الله عليه وسلم وما كان
السلف يعتقدونه من الله تعالى انه يرى فى الآخرة لانه موجود
وليس فى جهة فهو غير محدود ۝ وان القران كلام الله غير مخلوق
ليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفه اذ لو كان كذلك لكان
من جملة المخلوقات وانه لا يكون فى الملك والملكوت فلتة خاطر
ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وارادته ومشيئته فمنه

الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله
عز وجل لاحد من خلقه فمن اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما
ورد على لسان صاحب الشرع من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب
القبر وسوال منكر ونكير والصراط والميزان حق فهذه اصول درج
السلف رضي الله عنهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع
قبل نبوع البدع وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين
واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب والمواجب
الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب ليحصل لك علمه ثم
تعرف جملة ما يحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم
ونحوه فاذا فعلت فقد اديت فرض الله سبحانه وتعالى عليك
الذي تعبدك في باب العلم ولقد صرت من علما امة محمد عليه السلم
الراسخين في العلم ان عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك
وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد
ولا غافل ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة والثواب الجزيل
وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراك وقضيت حقها
باذن الله سبحانه وتعالى والله سبحانه المسول لان يمدك
وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ٥ هـ

الباب الثاني
في العقبة الثانية وهي التوبة

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله واياي بالتوبة وذلك
لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شوم الذنوب
يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع من
المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان ثقل
الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط الى الطاعات وان
الاصرار على الذنوب يسود القلب فتجدها في ظلمة وقساوة لا خلو ص
ولا صفاء ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فيستخرج صاحبها
الى الكفر والشقاوة فيا عجبا كيف يوفق الى الطاعات من هو في شوم
وقسوة وكيف يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة
وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففي
الخبر عن الصادق المصدق رسول الله عليه السلم انه قال اذا كذب
العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسا ن
لذكر الله تعالى فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا
ولا خفة اركانه لعبادة وان اتفق فبكلك وكد لا حلاوة معه ولا صفوة
فكل ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا

لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك مكبول قد كبلتك خطيئتك
فمثل هذه والثاني من الامرين انها يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك
فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضا
الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل
منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه ام كيف تترك لاجله الحلال
والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه
وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا حال اهل العصاة
المصرين على المعصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة
نصوحا وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب
كلها فاقول اما التوبة فانها سعي من مساعي القلب وهي عند
التحصيل في قول العلماء تنزيه القلب عن الذنب قال شيخنا في حد
التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما
لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط احدها ترك
اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود
الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه يعود
اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه
ممتنع عن الذنب غير تائب والثانية ان يتوب من ذنب

قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب
الا ترى انه يصح القول بان النبي عليه السلم كان متقيا عن الكفر
ولا يصح القول انه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق منه كفر بحال
وان عمر رضي الله عنه كان عن الكفر تائبا لما سبق عنه ذلك والثالثة
ان الذي سبق يكون مثل ما ترك باختياره في المنزلة والدرجة لا في
الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع
الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق
عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر
الان على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر
على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف
والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص وان كان يتفاوت الاثم
في حق كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها
بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون
منزلة الكفر ولذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق
وساير ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن امثالها اليوم في
الصورة والرابعة ان اختياره لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا

من سخطه واليم عقابه مجردا لرغبة دنياوية او رهبة من الناس
اوطلب ثنا وصيت وضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه
شرايط التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت فهي توبة
حقيقيه صادقه واما مقدمات التوبة فثلث احديها
ذكر ترك غاية قبح الذنوب والثانيه ذكر شدة عقوبة الله عز وجل
واليم عقابه وسخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثه
ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة
شرطي وقرص نمله كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية
ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار
في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الله وعذابه فاذا واظبت
على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على
التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل
اليس قد قال النبي عليه السلم الندم توبة ولم يذكر شيا مما ذكرتم
من شرايطها رشدكم الله تعالى اعلم اولا ان الندم غير مقدور
للعبد الا ترى انه تقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون
ذلك والتوبة مقدورة للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم
على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين الناس او جاهه او ماله

في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ذنب فعلمت بذلك ان في
الخبر معنى لم نفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وتعالى
وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات
التايبين وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار الثلثة التي هي في مقدمات
التوبة فندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنب وبقي
ندامته في القلب في المستقبل تحمله على الابتهال والتضرع فلما كان
ذلك من اسباب التوبة وصفات التايب سماه باسم التوبة فاعلم
ذلك موفقا ان شا الله فان قلت كيف يمكن للانسان ان
يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير وانبيا الله
صلوات الله عليهم الذين هم اشرف خلق الله تعالى قد اختلف
اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن
غير مستحيل ثم هو هين والله تعالى يختص برحمته من يشاء
ثم من شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان يقع منه بسهو او خطا
فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه الله تعالى
فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى
الذنب ولا اثبت على التوبه فلا فايدة في ذلك فاعلم ان هذا من
غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تايبا قبل

ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم
والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذلك وان لم تتم فقد غفرت
ذنوبك السالفة كلها وتحللت منها وتطهرت وليس عليك الا
هذا الحدث الذي احدثته الان وهذا هو الربح العظيم والفايدة
الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة ابدا
بين احد الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية فهذه هذه
واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب
في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله عليك من صلوة
او صوم او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن لك منها
والثاني ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير
واكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك
العود الى مثلها ابدا الثالث ذنوب بينك وبين العباد
فهذا اشكل واصعب وهي اقسام قد يكون في المال او في النفس
او في العرض او في الحرمة او في الدين فما كان في المال فيجب ان
ترده عليه ان امكنك وان عجزت عن ذلك بعدم او فقر فتستحل
منه وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق
عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله تعالى

بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما ما كان في
النفس فتمكنه من القصاص او اوليايه حتى يقتص منك او يجعلك في حل
وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنك
يوم القيمة واما العرض فان اغتبته او بهته او شتمته فحقك
ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه
ان امكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ وهيجان فتنة في اظهار ذلك
او تجديده فان خشيت فالرجوع الى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار
الكثير لصاحبه واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه
ولا وجه للاستحلال والاظهار لانه يتولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى
الله تعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في اوقات فان امنت
الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته
او بدعته او ضللته فهو اصعب الامور فتحتاج الى تكذيب نفسك
بين يدي من قلت ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال
الى الله تعالى جدا والندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر
فما امكنك من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك راجعت الى الله تعالى
بالتضرع والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله تعالى
يوم القيمة والرجا منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم

الصدق من قلب العبد فانه يرضي خصماءه من خزانة فضله ولا
حكم فاعلم هذه جملة ارشاد فخذه هذه فاذا انت علمت ما وصفنا
وبرات القلب عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب
كلها وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضا الفايتة
وارضا الخصوم فالتبعات لازمة وساير الذنوب المغفورة ولهذا
الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب التوبة من
احيا علوم الدين اولا او كتاب القربة الى الله عز وجل ثانيا او كتاب
غاية القصوى ثالثا تجد فوايد كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه
ها هنا هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق

فصل

ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم وضررها عظيم
فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني رحمه الله وكان
من الراسخين في العلم العالمين انه قال دعوت الله ثلثين سنة
ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة
دعوت الله تعالى فيها ثلثين سنة فما قضيت لي الى الان فرايت فيما يرى
النايم كان قايلا يقول لي اتعجب من ذلك تدري ماذا تسال
انما تسال الله تعالى ان يحبك اما سمعت الله تعالى يقول ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هولاء الايمة

واهتمامهم ومواظبتهم على اصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم

واما الضرب المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله
شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا كان مبدا امرهما
ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الابدين . فعليك رحمك الله
بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص
رقبتك من هذه الاوزار ولا تامن قساوة القلب وتامل حالك
فلقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة
سواد القلب ان لا تجد من الذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا
ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيا فتحسب
نفسك تايبا وانت مصر على الكباير فلقد بلغنا عن كهمس الحسن انه قال
اذنبت ذنبا وانا ابكي عليه منذ اربعين سنة قيل ما هو يا عبد الله
قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حايط جاري
فاخذت منه قطعة طين فغسل بها يده . فناقش نفسك وحاسبها
وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع
الى الله سبحانه وتعالى وابتهل واذكر حال ابيك ادم عليه السلم
الذي خلقه الله تعالى بيده وحمله الى جنته على اعناق الملايكة
لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى يروى ان الله تعالى

قال له يا آدم اى جار كنت لك قال نعم الجار انت يا رب قال يا آدم اخرج
من جوارى وضع عن راسك تاج كرامتى فانه لا يجاورنى من عصانى
حتى انه فيما روى انه بكى على ذنبه مائتى سنة حتى قبل توبته وغفر
ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه فى ذنب واحد فكيف
حال الغير فى ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التايب وابتهاله
وكيف بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال
اى الآخذ بغير الطريق
يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب
فان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب تائبا فعد الى التوبة
مبادرا وقل لنفسك لعلى اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة
وكذلك ثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة
فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن فى التوبة اعجز منك فى
الذنب ولا تياس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك
فانه دلالة الخير اما تسمع قوله عليه السلام خياركم كل مفتن تواب
اى كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله تعالى
بالندامة والاستغفار وتذكر قول الله تعالى ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه
وبالله التوفيق **فصل** وجملة الامور انك اذا ابتدأت

فبرات تلبك من الذنوب كلها بان توطنه على انه لا تعود الى
الذنب ابدا البتة فليكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه وتعالى
صدق عزمك من قلب تقى وترضى الخصوم بما امكنك وتقضى الفوائت
بما تقدر عليه وترجع فى الباقى الى الله تعالى بالابتهال والتضرع
ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلى اربع ركعات ت
كما يجب وتضع جبهتك بالارض فى مكان خال لا يراك الا الله
سبحانه وتعالى ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذى
هو اعز اعضائك فى التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال
وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحيين يا نفس اما آن لك ان تتوبى
الك طاقة بعذاب الله عز وجل الك طاقة بسخط الله تعالى وتذكر
من هذا كثيرا وتبكى ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتعالى
وتقول يا الهى عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصى رجع
الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عنى بجودك وتقبلنى
بفضلك وانظر الى برحمتك اللهم اغفر لى ما سلف من الذنوب
واعصمنى فيما بقى من الاجل فان الخير كله بيدك فانت بنا رؤف
رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلى عظايم الامور يا منتهى

منه المؤمنين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت
بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخوري لكل شدة كنت اذخرك
لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من البكا
والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه المسايل
يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك
انك على كل شي قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتستغفر
لجميع المؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله عز وجل فتكون قد
تبت توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك
امك واحبك الله عز وجل ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة
والرحمة ما لا يحيط به وصف وحصل لك الامن والخلاص ونجوت
من غصة المعاصي وبليتها في الدنيا والاخره وكنت قد قطعت
هذه العقبه باذن الله تعالى والله ولي الهدايه بمنه وكرمه

الباب الثالث

وهي عقبة العوايق

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بدفع العوايق حتى تستقيم
عبادتك وقد ذكرنا ان العوايق اربعة احدها الدنيا ودفعها
بالتجرد عنها والزهد منها وانما لزمك هذا التجرد والزهد لامرين

احدهما لتستقيم عبادتك وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك
بالطلب واما باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع عن العبادة
فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشي انقطع عن ضده
وان مثل الدنيا والاخرة كمثل الضرتين ان ارضيت احديهما اسخطت
الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما تميل الى احدهما اعرضت
عن الاخر واما شغلها في الظاهر فقد روينا عن ابي الدردا
رضي الله عنه انه قال اراولت بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت
على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه انه قال لو كانتا
مجتمعين لاحد غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني الله تعالى من القوة
واللين فاذا كان الحديث كذلك فاضرب بالفانية والسلم واما
شغلها في القلب وهو الباطن فلمكان الارادة فما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر باخرته ومن
احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك انه
اذا اشتغل ظاهرك في الدنيا وباطنك بالارادة فلا تتيسر لك العبادة
حقها واما اذا زهدت منها فتفرغت بظاهرك وباطنك تيسر
لك العبادة بل تعاونك الاعضا ولك ولقد روي عن سلمان الفارسي
رضي الله عنه انه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه

بالحكمة وتعاونت اعضاوه في العبادة فهذه هذه والثاني من
الامرين ان يكثر ثمنه عملك وتعظم قدره وشرفه ولقد قال عليه السلم
ركعتان من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله عز وجل من عبادة
المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف
وتكثر لذلك فحق لمن طلب العبادة ان تزهد في الدنيا وتجرد عنها
قال قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقه ذلك فاعلم
ان الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد مقدور للعبد
وزهد غير مقدور فالزهد الذي هو مقدور ثلثه اشياء ترك
طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيار
واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشي على
قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد مقدمات لذلك
هو غير مقدور للعبد فاذا اتى العبد بهذه بان لا يطلب ما ليس
عنده من الدنيا وان تفرق ما عنده منها وترك بالقلب ارادتها
واختيارها لا فانها اورثته هذه برودة الدنيا على قلبه لاجل الله تعالى
وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان
اصعب الامور الثلثه انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك لها
بظاهره محب لها مريد بباطنه فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه

شديدة والشان كله في هذه الم تسمع قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا علق الحكم فيه بنفي
الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله تعالى من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وقوله ومن اراد الاخرة
اما ترى الاشارة كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذن لكن العبد
اذا واظب واستقام على الاولين اعني الترك والتفريق فمامول
من فضل الله تعالى ان يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن
قلبه فانه المفضل الكريم جل وعز ثم الذي يبعث على الترك والتفريق
ويهون عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس
القول في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة
عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها قال الامام شيخي رحمه الله
كان من هذا رايحة الرغبة فايحة لان من شكا فراق احد
ل احب وصاله ومن ترك شيئا لمكان الشركا فيه احب لو انفرد به فالقول
البالغ فيه ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة لله تعالى وانت محبه
ومن احب احدا ابغض عدوه قال ولانها في اصلها وسخة
جيفه الا ترى آخرها الفساد والقذر والتلاشي والاضمحلال
لكنها جيفة ضمخت بطيب وطليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون

وزهد فيها العاقلون فإن قيل فما حكم الزهد في الدنيا أهو
فرض أم نفل فاعلم أن الزهد عندنا يقع في الحلال والحرام فهو
في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم بمنزلة هذا الحرام لمستقيمي الطريقة
بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها إلا عند الضرورة بمقدار
دفع الضرورة وأما الزهد في الحلال إنما يكون في منزلة الأبدال
يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منها إلا قدرا
لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد
تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب بأن ينقطع بهمته عنها
ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار أو
إرادة فإن قلت كيف يمكن أن تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة
المطلوبة عند إنسان بمنزلة النار أو بمنزلة الجيفة المستحيلة
والبنية بنيتنا والطبع طبعنا فاعلم أن من رزق التوفيق
الخاص وعلم آفاتها وقذرها في أصلها فيصير عنده كذلك وإنما
يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب الدنيا وآفاتها المغترون
بظاهرها وزينتها وسأضرب لك مثلا لذلك فاعلم أن هذا مثل
إنسان صنع خبيصا بشرائط من السكر وغيره ثم طرح فيه
قطعة سم قاتل فأبصر ذلك رجل ولم يبصره آخر ووضع الخبيص

بين أيديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذي أبصر ما جعل فيه من السم
يكون زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله أن يتناول منه بحال البتة
ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل أصعب لمكان أنه يعلم من عيبه
ولا يغتر بظاهره وزينته وأما الرجل الآخر الذي لم يبصر ما جعل
فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه وأخذ
يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما سفهه في هذا فهذا مثل حرام
مع البصراء المستقيمين والجهال الراغبين وإن لم يطرح فيه السم (يرغبون فيه)
لكن بزق فيه أو امتخط ثم ضمخه وزينه فالرجل الذي شاهد منه
ذلك الفعل يكون مستقذرا لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم
عليه إلا عند الضرورة وشدة الحاجة إليه والذي لم يشاهد ذلك
فهو جاهل بما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب متعجب محب
فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين أهل البصيرة والاستقامة و
أهل الرغبة والغفلة وإنما اختلف حال الرجلين مع تساويهما
في الطبع والبنية لموضع النظر لبصارة وعلم كان لأحدهما وجهل
وغفلة وخفاء كان لآخر فلو أبصر الراغب وعلم ما علمه الزاهد (مثل الجاهل)
لكان زاهدا مثله ولو جهل مثله الزاهد وعمي عن الذي عمي عنه
الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بذلك أن هذا التمييز كمكان البصا
ير

دون الطبايع وهذا اصل مفيد وكلام بين سديد يعترف به من عقل
وانصف والله ولي التوفيق بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر
من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد
في الفضول فيما لا يحتاج اليه في قوام البنية والمقصود القوام
والقوة حتى نعبد الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ
والله تعالى ان شاء اقامها بشيء اخر وسبب وان شاء اقامها بغير سبب
كالملائكة ثم ان كان بشيء فان شاء بشيء حاصل عندك او بطالبك
وكسبك وان شاء بشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من
غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذن لا تحتاج بحالة الى
طلب وارادة فان لم يتقو على ذلك وطلبت ولذذت فانو بذلك
العدة على عبادة الله تعالى دون الشهوة واللذة فانك اذا
نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للاخرة
بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة
راشدا وبالله التوفيق العايق الثاني الخلق ثم عليك
وفقك الله وايانا لطاعته بالتجرد والتفرد عن الخلق وذلك
لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى على ما حكي

عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم
فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك
قال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء فقال من غفر الله تعالى
له فقلت اين الطريق فاشار بيده الى السماء وقام وتركني فالخلق اذن
يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك
على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق خمسة اشيا
فلم اجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني
عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا
فقلت لا تمنعوني اذن فمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى
الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم اطيعكم ففعلوا فتركتهم
واشتغلت بخاصة نفسي ثم اعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك
محمدا عليه السلم وصف زمان العزلة وبين بغته ونعت اهله
وامر فيه بالتفرد وكان عليه السلم لا محالة اعلم بالمصالح وانصح
لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل
امره عليه السلم واقبل نصيحته ولا تشك في انه عليه السلم
كان اعرف بما يصلح لك في زمانك ولا تعلل بالعلل الكاذبة
ولا تخادع نفسك والا فانت هالك ولا عذر لك والوصف الذي

ذكرنا هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكروا الفتنة فقال اذا
رايتم الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا
وشبك بين اصابعه قلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك
بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر انه عليه السلم قال
ذاك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه
وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه في خبر آخر للحرث بن عميرة
انه قال ان تدفع عن عمرك فسياتي عليك زمان كثير خطباؤه
قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قايد العلم
قال ومن ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشا وبيع
الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجا قلت وجميع ما
ذكره في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر
لنفسك ثم ان السلف الصالح رحمهم الله اجمعوا على التحذير
من زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا
شك انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان بعدهم لم يعد خيرا مما
كان بل شر منه وامر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط رحمه الله

على ظهر الغيب لان الزيارة واللقا يعرض منهما التزين والريا ولقد
قيل لسليمان الخواص قد قدم ابرهيم بن ادهم افلا تاتيه قال لان
القى شيطانا ماردا احب الي من لقايه فاستنكروا ذلك من قوله
فقال اذا لقيته اخاف ان اتزين واذا لقيت شيطانا امتنع منه
ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعوا في
آخر حديثهما فقال للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا له ارجى من
مجلسي هذا فقال له العارف لكني ما جلست مجلسا انا به اخوف
من مجلسي هذا الست تعمدت الى احسن حديثك وعلومك فحدثتني
بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فقد وقع الريا فبكى شيخ
الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل يا ويلتي من
موقف ما به اخوف من ان يعدل الحاكم يا رب عفوا منك
عن مذنب اسرف الا انه نادم • فهذا حال اهل الزهد والرياضة
في ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر
والجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح
الناس في ضر كبير فانهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا
يكاد يحصل لك منها شي ثم يفسدون عليك ما حصل لك
حتى لا يسلم لك شي فيلزمك العزلة والتفرد عن الناس

والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ
برحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد فبين لنا حال طبقات
الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان
الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة بالخلق اليه
في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا
يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او
حاجة في معيشته لا بد له من ذلك فيواري شخصه ويلزم كنه
لا يعرف ولا يُعرف فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن
الدنيا ولا يخالطهم في امر من الامور البتة من دين او دنيا او جماعة
وجمعة او غيرها لما يرى له في ذلك من مصلحته وفراغته فانه
لا يسعه ذلك الا باحد امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه
هناك هذه الفروض كرؤس الجبال وبطون الاودية ونحوها
ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع البعيدة
عن الناس واما ان تبين بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه من مخالطة
الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر
في ذلك ولقد رايت انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين
من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه

وسلامة حاله فجاورته في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من
عذره ما اشرنا اليه وهو ان ما يجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام
والتبعات في الخروج الى المسجد الحرام ولقا الناس قلت انا وجملة
الامر فلا عتب على المعذور والله تعالى اعلم بالعذر وهو عليم بذات
الصدور ه ولكن الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس
في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك
فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج
الى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض فيها ثم ان الطريق الثالث
وهو ان يكون مع الناس في مصر واحد ولا يحضر جماعة ولا جمعة
لعذر يراه في ذلك من وزر او تبعة عليه فانه يحتاج الى نظر
دقيق وعوارض دقيقة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من
الغلط فالاول ان اسلم واحفظ له والله ولي الهداية ه واما
الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في الناس اليه في امر العلم يجب يرجع
يحتاج اليهم في دينهم ولبيان حق او لرد على مبتدع او دعوة الى خير
بفعل او قول ونحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس
بل ينصب نفسه بينهم ناصحا للخلق لله تعالى ذابا عن دين الله
مبينا لاحكام الله ه فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه

انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فقد لعنه الله هذا اذا
كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا ذلك وقد حكي
عن الاستاذ ابي بكر بن فورك رحمه الله انه قصد ان ينفرد
لعبادة الله عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي
يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان
هذا سبب صحبته للخلق ۝ وذكر لي مامون بن احمد ان
الاستاذ ابا بكر قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم
امة محمد عليه السلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم هاهنا باكل
الحشيش قالوا انا لا نقوى على صحبة الناس وانما اعطاك الله
قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي
وكان لهم مع غزارة علمهم العلم الجم والنظر الدقيق في سلوك
طريق الاخرة ۝ واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه النا
في باب الدين يحتاج في صحبة الناس الى امرين شديدين
احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله
دايمة والثاني ان يكون في هذا المعنى متفردا عنهم وان
كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم
وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا عنه استغنم ذلك منهم

وان كانوا في حق وخير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهجرهم
بل رد عليهم وزجرهم ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات
والعيادات وقضا الحاجات التي يدفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم
بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا
لذلك ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاخذ ان اعطي
ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر ويجمل بظاهره لهم ويكتم حاجاته
عنهم فيقاسيها بنفسه ويعالجها في ستر وباطنه ثم يحتاج مع ذلك
ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت الليل لاضيعن نفسي وان
نمت النهار لاضيعن الرعية وكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا
المعنى عرض لي ابيات في شعر وهي ۝

فان كنت في هدي الايمة راغبا فوطن على ان ترتبك الوقايع
بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهي في الصدر رايع
لسانك مخزون وراسك ملجم وسرك مكتوم لدى الرب ذايع
وذكرك مغمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جايع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون وطعنك شايع
وفي كل يوم انت جارع غصة من الدهر والاخوان والقلب طايع

نهارك يشغل الناس من غير منة وليلك شوق غاب عنه الطلايع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة ليوم عبوس عز فيه الذرايع
نعم يكون بالنفس معهم وبالقلب مباعدا عنهم وذلك لعمري امر
شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا في وصية يا بني عش مع اهل
زمانك ولا تفقد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحيا والاقتداء
بالاموات ه وعن ابن مسعود رضي الله عنهما خالط الناس
وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا ماج الفتن
بعضها في بعض وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين مدبرين
لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يرمقون
مفندا ولا يعنيهم امر دينهم البتة وترى الفتنة يعم العامة وتدب
بين الخاصة فللعالم العذر في العزلة والتردد ودفن العلم واحسب
ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان
فهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم
وضرره كثيرة وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي عليه السلم
يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان الشيطان ذيب
الانسان ياخذ الشاذ والناحية والقاصية وقال عليه السلم
ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه

وردت وورد ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة
والتفرد في زمان السوء ولا تناقض في قوله عليه السلم ولا بد من
الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله عليه السلم
عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة اوجه احدها انه يعني به في الدين
والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على الضلالة فخرق الاجماع والحكم
بخلاف ما عليه جمهور الامة والشذوذ عنه باطل وضلال
واما ان يعتزل عنهم لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك في شي
والثاني قوله عليه السلم عليكم بالجماعة والحديث الذي بعده
واردان في طاعة السلطان بان لا يطلب الانسان الفتنة و
الامتناع عن البيعة والخروج على امام الوقت واما ان يعتزل
عنهم لصلاح دينه فليس هذا من ذلك في شي هذا والثاني
عليكم بالجماعة بان لا ينقطعوا عنهم في جمعتهم وجماعاتهم ونحوها
فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين
ولا يخلوا ذلك من بركات من الله ونظر منه بالرحمة ولذلك يقول
ان من حق المنفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة في الخير
وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في ساير الامور لما فيها من
ضروب الافات والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل

الضعف في امر الدين ه واما الرجل البصير القوي في امر الله تعالى
اذا راى زمان الفتنة الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة
منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزله اولى لما في الخلطة من الفساد والافة
وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة فان اراد ان
ينفرد عن الناس بمرة فليسكن شاهق جبل او بطن فلاه لصلاح
يراه في دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا الرجل ايما كان الا و يمكنه الله
عز وجل من حضور الجماعات والجمعات وساير جموع الاسلام فيحضر
لئلا يفوته لحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله بمكان
وان تغير الناس وفسد والذي سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون
جموع الاسلام اينما كانت ويسيرون في الارض حيث شاو وان ان
الارض لهم قدم واحد وفي الاخبار ان الارض تطوى لهم ويبادرو ز
بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به
واحسن الله عزا من غفل عن النظر في اخلاص نفسه واعان الطالب
الذي لم يصل الى المقصود كامثالنا ولقد عرض لي في صفة حالي
ابيات من الشعر وهي

ظفر الطالبون واتصل الوصل وفاز الاحباب بالاحباب
وبقين مذبذبين حيارى بين حد الوصال والاجتناب

قال سمعت الثوري رحمه الله يقول والله الذي لا اله الا هو
لقد حلت العزوبة في هذا الزمان قلت لان حلت في زمانه ففي
زماننا هذا وجبت وافترضت ه وعن سفيان ايضا انه
كتب الى عباد الخواص رحمه الله اما بعد فانك في زمان كان
اصحاب النبي محمد عليه السلام يتعوذون بالله من ان يدركوه
فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على
قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد
من الناس فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة
من خلطاء السوء وفي مثل هذا قيل

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
لو دام هذا ولم يحدث به غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينه انه قال للثوري اوصني قال
اقلل معرفة الناس قلت رحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا
من معرفة المؤمنين فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك
رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته
في المنام فقلت يا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة الناس
فان التخلص منهم شديد ولقد قيل في معنى هذا الخبر نظما ه

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف
وقال الفضيل هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعن داود الطاي
صم عن الدنيا واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الاسد
وعن ابي عبيدة ما رايت حليما قط الا قال في عقب كلامه ان
احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب
اكثر من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا و
سميناه اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى
العجب العجاب والعاقل يكفيه الاشاره واما الخصلة الثانية
التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشان ان الناس يفسدون
عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله تعالى بسبب
ما يعترض من قلبك من دواعي الريا والتزين ولقد صدق
يحيى بن معاذ حيث قال روية الناس بساط الريا وهولا الزهاد
قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حين تركوا الملاقات والتزاور
وقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رضي الله عنهما صلنا
بالزيارة واللقا قال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعا

نرتجي القرب بالبعاد وهذا نفس حال المحال للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم وتهدي طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم المجروح يا منقذي من الاوصاب الجرح
فلنقبض الان عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان العزلة
فقد خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس النبي عليه السلم
قال رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر عن التفرد
فاعلم ان ذلك في غير زمن الفتنة كما ذكرنا وايضا فانه يجلس
في المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم
وبالمعنى منفردا عنهم وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي
نحن في شرحه لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله
وفيه يقول ابرهيم بن ادهم رحمه الله كن واحدا جامعا ومن ربك
ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس علماء
الاخرة ورباطات الصوفية سالكي طريق الاخرة والكون فيها ○
فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل
العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين والفايدتين اللتين
احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة
والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم

وتكثير شعاير الاسلام فتحصل السلامة التي هي للمتفردين والخير الكثير
الذي هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من العدة والبركة
والنصيحة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم
سبيل ولهذا الشان قام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد
الله في باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لادابهم وحسن
رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح من لسان المقال فصار
ذلك احسن تدبير في امر الدين مع العلم والعبادة واحكم راي فان قيل
فما حال المريدين مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام يعتزلهم
فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم الاولى وسيرتهم الموروثة
عن سلفهم فهم اجل اخوان في الله عز وجل واصحاب واعوان على
عبادة الله تعالى فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم مثل ما تسمع
من زهاد لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى ى
ويتواصون بالصبر والحق واما اذا ما تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا
بطرايقهم الموروثة عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد
المرتاض معهم كحكمه مع سايرهم يلزم زاويته ويكف لسانه و
يشاركهم في خيراتهم ويجانبهم في ساير احوالهم وافاتهم فيكون هو
في عزلة من اهل العزلة منفرد من المنفردين فان قلت

فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان آخر
لصلاح يراه في نفسه وتجنب افة يدخل عليه في صحبتهم فاعلم
ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين يتحصن بها المجتهد ن
عن القطاع والسراق وان الخارج بمنزلة الصحرا يرد فيها فرسان
الشياطين عسكرا عسكره فتسبيه وتستاسره فكيف حاله اذا خرج
الى الصحرا ويمكن منه العدو من كل جانب يعمل به ما يشاء فاذن
ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير
الذي لا يغلبه الاعداء واستوى عنده الحصن والصحرا فلا حرج
عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن احوط على كل حال اذ لا
يؤمن الفتن والاتفاقات السو اذا كان الامر بهذه الجملة فالكون
مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة اولى بالمرتاض وطالب
الخير بكل حال ولا مانع للقوي البالغ مبلغ الاستقامة عن
التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتاملها تغنم وتسلم ان شا الله
فان قلت فما تقول في زيارة الاخوان في الله عز وجل ومواصلة
الاحباب بالتلاقي والتذكير فاعلم ان زيارة الاخوان في الله عز وجل
من جواهر عبادة الله تعالى ومنها الزلفة الكريمة الى الله تعالى
مع ما فيها من ضروب الفوايد وصلاح القلب ولكن بشرطين

احدهما ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي عليه السلم
لابي هريرة رضي الله عنه زر غبا تزدد حبا والثاني ان تحفظ
حق ذلك بالتجنب عن الريا والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك
فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل وسفين
تذاكرا فبكيا فقال سفين رحمة الله يا ابا علي ارجوا انا ما جلسنا
مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف
علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست تعمدت الى احسن حديثك
فحدثتني به وانا اعمدت الى احسن ما عندي فحدثتك فتزينت لي
وتزينت لك فبكى سفين ثم فيجب ان يكون مجالستك الاخوان
وملاقاتهم على مقدار قصد في احتياط ونظر لطيف فلا يقدح
ذلك في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى اخيك
بضرر وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم والله الموفق فان قلت
فما الذي يبعثني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك
فاعلم ان الذي يهون عليك ثلثة امور احدها استعمل اوقاتك
في العبادة فان في العبادة شغلا وان الاستيناس بالناس من
علامات الافلاس فاذا رايت نفسك تتطلع الى علامات الناس
وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول

ساقه الفراغ والبطر ولقد احسن ما قال في هذا المعنى
ان الفراغ الى سلامك قادني ولربما عمك الفضول الفراغ
فاذا امتنى عانقت العبادة بجهها ووجدت حلاوة المناجات
واستانست بكتاب الله تعالى واشتغلت عن الخلق واستوحشت
من صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلم كان اذا رجع عن
المناجات يستوحش من الناس ويجعل اصبعيه في اذنيه لئلا
يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك
الوقت كاصوات الحمير فعليك بما قاله سحنان رحمه اتخذ الله
صاحبا وذر الناس جانبا والثاني قطع الطمع عنهم بمرة فتهون
عليك امرهم لان من لا يرجو نفعه ولا يخاف ضره فوجوده وعدمه
سواء والثالث تبصر آفاتهم وتتذكر ذلك وتكرر على قلبك
فان هذه الاذكار الثلثة اذا لزمتها طردتك عن صحبة الخلق
الى باب الله عز وجل والتفرد لعبادته وحببته اليك والزمتك
بابه وبالله التوفيق **العايق الثالث الشيطان**
ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين
احدهما انه عدو لا مطمع فيه لمصالحة وابقا عليه بل لا يقنعه
الا هلاكك اصلا فلا وجه اذن للامن من مثل هذا العدو ولي

لغفلة عنه وتامل آيتين من كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الآية والثانية
قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير
وغايته والخصلة الثانية لانه مجبول على عداوتك منتصب
ابدا لمحاربتك فهو آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت
غافل فكيف يكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي لك في عبادة
الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفعلك وقولك وهذا ضد
صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت
وسطك لتغايظ الشيطان وتكايده وتناقضه فهو ايضا يشد
وسطه ليعاديك ويقاتلك ويماكرك حتى يفسد عليك شانك بل
حتى يهلكك راسا اذ لا بد من جانبك بعد فان الذي يسعى ويقصد
بالهلاك الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه
كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف
تظن قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذن مع
الناس عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة
خاصة فان امر له بهم ومعه عليك اعوان اشدها عندك نفسك
وهواك وله اسباب ومداخل وانت عنها غافل ولقد صدق

يحيى بن معاذ رضي الله عنه حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول وهو
يراك وانت لا تراه وانت تنسى الشيطان وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان ن
عليك عون فاذن لا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن الفساد و
الهلاك فان قلت فبأي شيء احارب الشيطان وبأي شيء اقهره وادفعه
فاعلم ان لاهل الصناعة في هذه المسألة طريقين احدهما
قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير
فان الشيطان كلب سلطه الله تعالى عليك وان اشتغلت بمحاربته
ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وربما ظفر بك فيعقرك
ويجرحك فان الرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى والثاني
ما قال الآخرون ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد
والمخالفة قلت والذي عندي ان الطريق العدل الجامع في امره
ان نجمع بين الطريقين فنستعين بالله تعالى اولا من شره كما امرنا
وهو الكافي شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله ليرى
صدق مجاهدتنا وقوتنا في امره سبحانه وتعالى ويرى صبرنا
كما سلط الكفار علينا مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم
ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما
قال الله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء وقال تعالى

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته ومحو فيما قال علماؤنا
رحمهم الله في ثلثة اشياء احدها ان تعرف وتتعلم مكايده وحيله
فلا يتجاسر حينئذ عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد
احس به والثاني ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك
وتتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولع بك
ولج وان اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله
سبحانه بلسانك وقلبك فلقد روي ان رسول الله صلى الله عليه
ان ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن آدم قال
فان قلت فكيف نعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك ٥
فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك
انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له حبالا بمنزلة
الشبكات التي ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد ومواضعها
ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا
سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار ولكنا
نذكر لك ان شاء الله من كل واحد منها اصلا كافيا ان اعتصمت
به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب

ابن آدم ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام
وسلط في مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له الوسواس
ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو
الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا ان الشيطان
ربما يدعوه الى الخير ويقصد في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول
ليمنعه عن الفاضل او يدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم
لا يفي خيره بذلك الشر من عجب وغيره فهذان داعيان قائمان
على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه يحس بذلك على ما روي في الاخبار
انه اذا ولد لبني آدم مولود قرن الله سبحانه وتعالى به ملكا وقرن
الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن آدم
اليسرى والملك جاثم على اذن قلبه اليمنى فهما يدعوانه وقال
النبي عليه السلام للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة يعني نزوله
بالدعوة من قولهم لم بالمكان والم اذا نزل به ثم ركب الله
تعالى في بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل
اللذات كيف كانت من حسن او قبيح فذلك هو النفس الصارفة
الى الآفات فهذه ثلث دعوات ثم اعلم هذه المقدمة
ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والترو

اليها سميت خواطر لاضطرابها من خطران الرمح ونحوه وحدوثهما
جميعا في قلب العبد بالحقيقة من الله تعالى لكنها اربعة اقسام
منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط
وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان يقال له هوى النفس وينسب اليه
وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه ويقال له الالهام
وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له الوسوسة
وينسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي بالحقيقة حادثة
عند دعوته فهي كالسبب في ذلك ولكنها نسبت اليه فهذه اربعة
اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي
من قبل الله ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر
امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون
الا بخير اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي
من قبل الشيطان لا يكون الا بشر اغواء واستذلالا وربما يكون
بالخير مكرا واستدراجا والذي يكون من قبل هوى النفس يكون
بالشر وربما لا خير فيه تعسفا وتمنعا ولقد وجدت عن بعض
السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعوا الى خير والمقصود منه
شر كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك محتاج الى معرفة

ثلثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق بين
خاطر الخير وخاطر الشر والثاني الفرق بين خاطر شر ابتداي
وهواي او شيطاني وبماذا يفرق بينهما فان لكل واحد منهما
دفعا من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتداي والهامي
او شيطاني فيتبع ما يكون من الله تعالى او من الملهم ويتجنب ما يكون
من الشيطان ولذلك الهواي على قول من يقول واما الفصل
الاول قال علماؤنا اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر
وتفرق ما بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة فيتبين لك حاله اولا
فالاول اعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه
فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم
يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان في
فعله اقتدا بالصالحين فهو خير وان كان بضد اتباع الصالحين
فهو شر فان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس
والهوى وانظر ان كان مما ينفر عنه النفس نفرة الطبع لا نفرة
خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما يميل اليه ميل
النفس ميل طبع وحيلة لا ميل رجاء الى الله تعالى وترغيب
فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا يميل باصلها الى الخير فباحد

هذه الموازين اذا نظرت وامعنت النظر تبين لك خاطر الخير من خاطر
الشر والله ولي الهداية بفضله انه جواد كبير واما الفصل
الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان
وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى فانظر فيه من
ثلثة اوجه احدها ان وجدته مصمما راتبا على حالة واحدة فهو
من الله تعالى او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم
انه من الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس مثل
النمر اذا جاع لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر او مثل الخارجي
الذي تقاتل تذنيبا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذنب
الذباب اذا اطردته من جانب دخل من جانب وثانيها ان وجدته
عقيب ذنب احدثته فهو من الله اهانة وعقوبة بشؤم ذلك
الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
قال شيخي الامام رحمه الله هكذا تؤدي الذنوب الى قسوة
القلب او لها خاطر ثم تؤدي الى القسوة والرين وان كان الخاطر
مبتدا لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا
في الاكثر لانه لا يبتدي بدعوة الشر ويطلب الاغرا بكل حال
وثالثها ان وجدته لا تضعف ولا يقل بذكر الله تعالى

ولا يزول فهو في الهوى وان وجدته تضعف ويقل بذكر الله تعالى
فهو من الشيطان كما ذكر في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس
الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله خنس
واذا غفل وسوس واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق
بين خاطر خير يكون من الله وما يكون من الملك فانظر من ذلك في
ثلثة اوجه احدها ان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى
وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك
من كل جانب ووجه ويعرض عليك كل نصح رجا اجابتك
ورغبتك في الخير الثاني منها ان كان عقيب اجتهاد منك
وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدا
فهو من الملك في الاغلب الثالث منها ان كان في الاصول
والاعمال الباطنة فهو من الله تعالى وان كان في الفروع والاعمال
الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذا الملك لا سبيل له الى معرفة
باطن العبد في قول اكثرهم واما الخاطر الخير الذي يكون
من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربى عليه فلقد قال سبحا
انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط

لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة
لا مع البصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك
في ذلك الفعل على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع
عجله ومع خوف لا مع امن ومع بصائر العاقبه لا مع عمى فاعلم انه
من الله تعالى او من الملك قلت انا وكان النشاط خفة للانسان
للفعل من غير بصيره وذكر ثواب ينشط في ذلك واما التأني
فمحمودا الا في مواضع معدودة وذكر في الخبر عن النبي عليه السلم
العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضا
الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل
والتوبة من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل ان يكون
في اتمامه وادايه على وجهه وحقه او قبول الله عز وجل اياه واما
بصائر العاقبه بان يتبصر ويتبين انه خير رشد ويحتمل رويه
الثواب في العقبى ورجايه فاعلم ذلك موفقا فهذه جمله الفصول
الثلثه التي لزمتك معرفتها في فصل الخواطر فادعها وامعن النظر
فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة
في هذا الباب والله الموفق بفضله واما الحيل والمخادعات
من الشيطان فيجري ذلك ومثاله ان مكايدة الشيطان

مع ابن آدم في فعل الطاعة من سبعة اوجه احدها ان ينهاه
عنها فان عصمه الله رده بان قال اني لمحتاج الى ذلك جدا اذ لا بد
لي من التزود من هذه الدنيا الفانية للاخرة التي لا انقضا لها
ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله تعالى رده بان قال ليس
اجلي بيدي على اني ان سوفت اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله
فان لكل يوم عملا ثم بالعجلة فيقول له عجل لتفرغ لكذا وكذا فان
عصمه الله تعالى ورده بان قال قليل العمل مع التمام خير من كثير
مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراياه للناس فان عصمه الله
تعالى ورده بان قال ايش اعمل لمراياة الناس افلا يكفيني روية الله
عز وجل ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وما ايقظك
فان عصمه الله تعالى رده بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني
وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله ولولا فضل
لما كان قيمة هذا العمل في جنب الله تعالى على حسب معصيتي له
ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه الا متيقظ
وهو ان يقول اجتهد انت في الستر فان الله تعالى سيظهره عليك
ويلبس كل عامل عمله واراد بذلك ضربا بالريا من الله بابه فان
عصمه الله تعالى يرده بان قال يا ملعون الى الان كنت تاتيني من وجه

افساد عملي وان ياتيني من اخلاصه لنفسه انما انا عبد الله وهو سيدي
ان شاء اظهر وان شا اخفى وان شا جعلني خطيرا وان شا جعلني حقيرا
وذلك اليه وما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم
شي ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل
لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك
فعله فان عصمه الله برده بان يقول انما انا عبد الله وعلى العبد امتثال
الامر لعبوديته والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الا انه
ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة
الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كيلا الوم نفسي وعلى ان الله عز وجل
لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني وعلى اني ان دخلت النار
وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص بكل حال فكيف
ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعات بالثواب فمن
لقي الله عز وجل على الايمان والطاعة لن يدخل النار ابدا البته ودخل
الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنه ولكن لوعد الله الصادق ولهذا
المعنى اخبر الله تعالى عن السعدا اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه ساير
الافعال والاحوال واستعن بالله فان الامر بيده ومنه التوفيق والحول والقوة الا به

٣٤

العقبة الرابعة النفس ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس
الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها
اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك
لامرين احدهما انها عدو من داخل والثاني انها من البيت عدو الحيلة
فيه وعظم الضرر وامر صدق القايل في قوله

نفسي اذا ما ضرني داع يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

والثاني انه عدو محبوب والانسان عمي من عيب محبوبه لا يكاد
يبصر عيبه كما قال القايل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فاذن يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها
وهي في عداوتها واضرارها فما اوشك ما توقعه في فضيحة وهلاك
وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى بفضله ويعين عليها برحمته ثم
اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك اذا نظرت وجدتها
اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وانه وقع في خلق الله تعالى
من اول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما وحدها واما
بعونها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى ان من

سوء

ابليس وكان سببه من بعد القضا السابق هو النفس بكبرها وحسدها
الفته بعد عبادة ثمانين الف سنه فيما قيل في بحر الضلال لغرق الى
ابد الابدين اذ لم يكن هناك ذنب ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس
بكبرها وحسدها فعلت به ما عملت ثم ذنب ادم وحوا عليهما السلم
طرحتهما شهوة النفس في ذلك بحرصها على البقاء والحيوة اغترا بقول
ابليس وكان ذلك اذن بعون النفس وشركتها حتى سقط بذلك
من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة
الفانية المهلكة ولقي ما لقي ولقي اولاده ما لقوا من ذلك اليوم الى ابد
الابدين ثم حدث قابيل وهابيل كان سبب الحسد والشح ثم
حدث هاروت وماروت كان سبب الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيمة
لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها
النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير واذا كان عدوا
بهذا الضرر كله فحق العاقل ان يهتم بامره والله ولي التوفيق
والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة لنا اذن في هذا العدو وما
تدبيرنا في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا قد ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسر
وصعب اذ لا يمكن قهرها بمره كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل
ان اعرابيا دعا للانسان بخير فقال كبت الله كل عدو الا نفسك ولكن

انما الهابمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين طريقين ترتيبها
وتقويتها بقدر ما يحتمل فعل خير وتضعفها وتحبسها على حد لا يمادر
فانت في امرها في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها
ان يلجمها بلجام التقوى والورع ليحصل الفايدتان جميعا فان قيل
ان هذه دابة جموح بهيمة صعبة شكسة لا تنقاد اللجام فما الحيلة
فيها حتى تمكننا منها فاعلم انك فيها لصادق والحيلة فيها تذليلها
حتى تنقاد للجام وقال علماونا رحمهم الله انما تذلل النفس وتكسر هواها
بثلثه اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقص
من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد
في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعاذة
بالله عز وجل والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص اما تسمع قول
يوسف عليه السلم بخبر الصادق ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلثة انقادت لك النفس
الجموح باذن الله فحينئذ تبادر الى تملكها وتلجمها وتامن شرها
فان قلت فبين الان ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا ان التقوى
كنز عزيز فان ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس
وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم وكان

خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي
هي التقوى وتامل ما في القرآن من ذكرها فكم علق بها من خير وكم
وعد عليها من اجر وثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد لك
من جملتها اولها المدحة والثناء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة قال الله تعالى
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا الثالث التايد والنصرة
قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الرابع
النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامس اصلاح العمل
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم
اعمالكم السادس غفران الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم
السابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين الثامن
القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسع الاكرام
والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم العاشر
البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الحادي عشر النجاة من النار
قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الثاني عشر

الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذه كل خير وسعادة
في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم
الذي يخص هذا الشان من امر العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق
والتايد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين
الثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهي للمتقين كما قال يصلح لكم
اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين وملاك العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولا
حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه
الثلثة هي التي يتضرع فيها العابدون الى الله تعالى ويسالون ويقولون
ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك
كله على التقوى وكرم بها المتقي سال او لم يسال فعليك بهذه التقوى
ان اردت عبادة الله تعالى بل ان اردت سعادة الدنيا والعقبى
ولقد صدق القايل

من اتقى الله فذاك الذي ... سيق اليه المتجر الرابح

وقال اخر

من عرف الله فلم يغنه ... معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعز كل العز للمتقي

ن

شعر لكاتبه [illegible]
نحو من الطرق اوساطها [illegible]
[illegible] فزاد التقى خير [illegible]
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب [illegible]

وكتب بعضهم على بعض القبور

ليس زاد سوى التقى فخذ الزاد ودع

ثم تامل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة
وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان كله في
القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين
فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عايشه رضي الله عنها انها
قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من الدنيا ولا اعجبه احد
الا ذو تقى وعن قتادة انه قال مكتوب في التورية يا ابن ادم اتق الله ونم
حيث شئت وبلغني عن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان
يصلي كل يوم وليلة الف ركعة ثم ياوي الى فراشه فيقول يا ماوى
كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله
انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل من الاصول
وهي ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض اخوانه اوصني قال
اوصيك بوصية الله رب العالمين الاولين والاخرين قوله تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
قلت اليس والله اعلم بصلاح العبد من كل احد والنصح
له وارحم واراف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد

واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال
وانجح للمال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله تعالى امر بها عباده
واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما اوصى بهذه الخصلة
الواحدة جميع الاولين والاخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها علمت
انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصد دونها وان الله عز وجل قد جمع كل
نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية
الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التي هي
التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات
المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه
وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولي
الهداية والتوفيق بمنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة
وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا بد الان من تفصيلها
فاعلم ان الامر كذلك وحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها وتمس
الحاجة الى معرفتها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابه
الى طلب كثير وتعب كثير وهمة عالية وجهد شديد فاذكر كما
ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام
بحقها والعناية في تحصيلها ايضا كشغل كبير وشان عظيم فان المكارم

على حسب المكابدات وان اللذات على قدر المونات والله يقول والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين وان الله هو
الرؤوف الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه لحديث بيان هذه
الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر للقيام فيها واستعن بالله عز وجل حتى تعمل
بما تعلم فان البيان كله في ذلك والله ولي التوفيق والهداية فنقول
اعلم اولا ان التقوى في قول شيوخنا هي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق
عليك مثله حتى تجعل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين
المعاصي هكذا قال شيخنا وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة
هو الوقوى بالواو ومصدر كالوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى
فابدلت عن الواو كما هو في الوكلان والتكلان ونحوها فقيل تقوى فاذن
لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها
وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك
التنزيه والعزم والتوطين تقوى والتقوى في القرآن يطلق على ثلثة اشياء
احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال تعالى
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس
اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى

٣٨

وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب فهذه هي
الحقيقة في التقوى دون الاولين والاخرين الا ترى ان الله تعالى
يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمنا ان حقيقة التقوى
شيء سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب كما ذكرنا ثم قالوا منازل ل
التقوى ثلثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي
الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في اية واحدة وهي قوله
تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا
ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا
فالتقوى الاولى تقا القلب عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد
والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار عقود
السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه
المنزلة فقابلها بالاحسان وهي الطاعة والاستقامة عليها فيكون
منزلة مستقيم الطاعة فالاية جمعت ذكر المنازل الثلثة منزلة الايمان ن
ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قال العلماء في بيان
معنى التقوى قلت انا وجدنا التقوى بمعنى اجتناب فضول
الحلال وهو ما روي في الخبر عن النبي عليه السلم انه قال انما سمي

المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فلحببت
ان اجمع بين ما قاله علماونا وبين ما جا في الخبر عن النبي عليه السلم فيكون
حدا جامعا ومعنى بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه
ضررا في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب
كل شي يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي
تخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول
الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه
الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشرة النفس وطغيانها وتمرد
الهوى وعصيانها فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه اجتنب
الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على
ما قاله عليه السلم لتركهم ما لا باس به حذرا عن الوقوع في الحرام
والتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو
المعصية والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على
موضوع علم الشرع فنقول تحد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر
لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك
وبين كل شر ثم الشرور ضربان شر اصلي وهو ما نهي عنه كالمعاصي
المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول

الحلال كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاولى تقوى فرض يلزم
بتركها عذاب النار والثانية تقوى زجر وادب يلزمه بتركها الحبس
والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو بالدرجة الاولى الدنيا من
التقوى وذلك بمنزلة مستقيمي الطاعة وبالاخرى فهو في الدرجة العليا
من التقوى وذلك بمنزلة مستقيمي المباح فاذا جمع العبد بينهما
على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى
وتمام حقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو
ملاك امر الدين وذلك بمنزلة الادب على باب الله عز وجل فهذا معنى
التقوى وبيانها في الجملة فافهم موفقا فان قلت ففصل لي الان
هذا المعنى في النفس واستعماله فيها فان الحاجة حاث من هناك لنعلم
كيف يلجم هذه النفس بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى
فاقول اجل انما تفصيله في امر هذه النفس ان تقوم عليها بقوة
العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا
فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك ولسانك
وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها بلجام التقوى
ولهذا الباب شرح بطول وقد اشرنا اليه في كتاب احيا علوم الدين
واما الذي لا بد منه هاهنا ان نقول من اراد ان يتق الله عز وجل

فليراع الاعضاء الخمسة فانها الاصول وهي العين والاذن واللسان
والقلب والبطن فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررا
في امر الدين من معصية وحرام وفضول واسراف من حلال واذا
حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكفي شر سائر اركانه ويكون
قد قام بالتقوى الجامعة لجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى
بيان خمسة فصول هذه الاعضاء وتفصيل ما يجري في حق كل
واحد منها على قدر ما يليق بهذا الكتاب **فالاول العين**
عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين فانها سبب كل فتنة واذكر في
امرها ثلثة اصول كافية احدها ما قاله تعالى قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
واعلم اني تاملت هذه الاية فاذا انها مع قصرها ثلثة معان عزيزة
تاديب وتنبيه وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ولابد للعبد من امتثال امر السيد والتادب
بادبه والا فيكون سيء الادب فيحجب فلا يؤذن له في حضور المجالس
والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها فان فيها ما فيها
واما تنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم يطلق على معنيين احدهما
ذلك اطهر لقلوبهم والزكوة الطهارة والتزكية التطهير والثاني

ذلك انمى لخيرهم واكثر لان الزكوة في اصل اللغة تنبيه على ان في غض
البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك اذا لم تغض
بصرك وارخيت عنانها تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلو من ان تقع
عينك على حرام فان تعمدت فذنب كبير وربما يعلق قلبك بذلك
فتهلك ان لم يرحم الله عز وجل ولقد روي ان العبد لينظر النظرة
يفغل فيها قلبه كما يفغل الاديم في الدباغ لا ينتفع بها ابدا وان كان
مباحا فربما يشتغل قلبك به فيجاك الوسواس والخواطر بسببه ولعلك
لا تصل اليه فيبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك
فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلم
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال
ذو النون نعم صاحب الشهوات غض الابصار ولقد احسن القايل

وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا ... لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ... عليه ولا عن بعضه انت صابر

فاذن لما كنت غاض البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك
كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوسواس سالم النفس
عن الافات متزايد الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل
الموفق بمنه واما التهديد فقوله ان الله خبير بما يصنعون

وقال تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا
لمن خاف مقام ربه فهذا اصل واحد من كتاب الله عز وجل ٥ والاصل
الثاني ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى
محاسن المراة سهم مسموم من سهام الشياطين فمن تركها اذاقه الله
طعم عبادة تسره وان وجدان لذة العبادة وحلاوة المناجات
من رب العالمين مكان وهذا شي جرب علمه وتحققه من عمله
لانه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة العبادة وحلاوته
وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك ٥ الاصل الثالث ان تنظر الى
كل عضو من اعضائك يصلح لماذا او تنظر له لماذا فعلى حسب ذلك
تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد
لكاس الشراب وتناول الثمار وكذلك في ساير الاعضاء فالعين انما هي
للنظر الى رب العالمين سبحانه وتعالى وليس في الدارين كرامة اجل
واكبر من ذلك فحقيق لمن ينتظر ويرجو له مثل هذه الكرامة ان
يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلثه اذا احسنت
تامل فيها كفتك المؤنة في هذا الفصل والله ولي التوفيق ٥

الثاني فصل الاذن فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضو
وذلك لامرين احدهما ما روي ان المستمع شريك القايل وفي ذلك يقول

القايل تحرز من الطرق واوساطها وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق
فانك عند سماع القبيح شريك لقايله فانتبه

والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوسواس في القلب [illegible] من ذلك تشتد
الاشغال في البدن فما يبقى للعبادة شي ثم اعلم ان [illegible] الذي يقع
في القلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع [illegible] فمنه الضار
ومنه النافع ومنه الغذا ومنه السم بل ان بعضها [illegible] وتجرعه اكثر
وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره وربما يبقى اثره زمانا
ثم يزول وله دوا يزول اثره من نفس الانسان [illegible] الكلام الذي
وقع في قلب الانسان ربما يبقى معه جميع عمره ولا [illegible] فان كان شيا رديا
فلا يزال يتبعه ويعنيه ويرد بسببه خواطر في [illegible] ووسواس
ويحتاج ان يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تذكـ[illegible] يستعيذ بالله
من شرها والا فلا يامن ان يحمله على بلية و[illegible] تنع آجرا لامر
في افة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت [illegible] عما لا يعنيك
لكنت عن هذا المؤن مستريحا فلينظر العاقل في ذ[illegible] التوفيق

الثالث فصل اللسان ثم عليك بحفظ اللسا[illegible] وضبطه
وقيده فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكـ[illegible] ادا وعدوانا

ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه انه قال قلت
يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلم بلسان نفسه ثم
قال هذا وعن يونس بن عبيد الله انه قال اني وجدت نفسي تحتمل مؤنة
الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا يعنيها فعليك
اذن بالتحفظ وبذل المجهود في ترك خمسة اصول احدها ما روى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان ابن ادم اذا اصبح يكرث الاعضا
كلها الى اللسان تقول ننشدك الله لتستقيم فانك ان استقمت استقمنا
وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم ان النطق يؤثر
في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن
مالك بن دينار انه قال اذا رايت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك
وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك والاصل الثاني حفظ
وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعل الاقل
يكون لغوا تضيع الجمعية به وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت
فقال مذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفسي الغرور تسالين عما
لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح
للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ۝
ولقد صدق القايل واحسن بقوله

واذا ما هممت بالخوض في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا ❊
واغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت فارغا مستريحا ❊
ولزوم السكوت خير من النطق وان كنت في الكلام فصيحا ❊
والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن لسانه واكثر
كلامه يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر كلامه كثر سقطه
والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل ان مثل من يغتاب
الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي حسناته شرقا وغربا
ويمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن انه قال له يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك
فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاحببت
ان اكافيك ۝ وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت
امي لانها احق بحسناتي ۝ وذكر انه بات حاتم الاصم ليلة القيام
فعيرته امراته فقال ان قوما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا نالوا
مني فيكون صلوتهم يوم القيامة في ميزاني الاصل الرابع السلامة من
الافات الدنيا على ما قال سفين لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك
وقال الاخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك ۝
وقيل احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ان البلاء موكل بالمنطق ❊
وقال ابن المبارك رحمه الله احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء في قتله

وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله

وعن لى المطيع

لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه له اغار

فصنه عن الخنا بلجام صمت تكن لك من بليات ستار

وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني ۝ والاصل
الخامس ذكر آفات الآخرة وعاقبتها واذكر فيه نكتة واحدة
وهي انه لا تخلو اما انك تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من فضول
ما لا يعنيك فان كان محظورا حراما ففيه عذاب الله عز وجل
الذي لا طاقة لك به ولقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ليلة اسري بي نظرت في النار فرايت قوما ياكلون الجيف
قلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون لحوم الناس ولقد قال
صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار ۝ وعن علي ثلاثة ان في
الغيبة خراب القلب من الهدى نسال الله تعالى العصمة من ذلك
بفضله هذا في الكلام المحظور واما المباح ففيه اربعة امور
احدها شغل كرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق المرء ان
يستحيي منهما ولا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب

عتيد الثاني ارسال كتاب الله عز وجل من اللغو والهذر فليحذر العبد
من ذلك وليخش الله تعالى وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال
يا هذا انك تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا تملي الثالث قراءته يوم القيامة
بين يدي الملك الجبار على رؤوس الاشهاد بين الشدائد والاهوال عطشان
عريان جوعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة الرابع اللوم
والتعيير لم ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العالمين وقد حل اياك
والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد
بسطنا في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفا
ان شاء الله تعالى **الرابع فصل القلب** فعليك بحفظ القلب
وصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء
خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول
مقنعة الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله
تعالى يعلم ما في قلوبهم وقوله انه عليم بذات الصدور كم ذكره وكرره في
القران وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد
فان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا يعلم من قلبك
والاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر
الى صوركم انما ينظر الى قلوبكم فالقلب اذا موضع نظر رب العالمين

فواعجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار
والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه
الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع
الرب عز وجل على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله بفضايح واقذار
وقبايح لو اطلع عليها الخلق لهجروه على واحدة منها وتبرؤا منه وطردوه
والله المستعان الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع و
الاعضاء كلها تبع له فاذا اصلح المتبوع صلح التبع واذا استقام
الملك استقامت الرعية بين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت
فسد الجسد الا وهي القلب ۝ واذا كان صلاح الكل في ذلك
وجب صرف العناية اليه الاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر للعبد
نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله تعالى التي هي
سبب سعادة الدارين ثم البصاير التي بها التقدم والوجاهة عند الله
تعالى ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد
ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وساير الاخلاق الشريفة
والخصال الحميدة التي بها تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا
في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان

ن

عن الادناس والآفات وتحرس وتخزن من السراق والقطاع وتكرم
وتبجل بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس فلا يظفر
بها والعياذ بالله عدوه والاصل الخامس اني تاملت حاله فوجدت
له خمسة احوال ليست لغيره من اعضاء ابن آدم احدها ان العدو
قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم
فهو منزل الالهام والوسوسة لتقترعانه ابدا بدعوتين الملك
والشيطان ان شغله اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك
العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو ابدا محل تجاذبهما
ولقائهما وتناقضهما وحقيق بالثغر ان يحرس ويحصن ولا يغفل
والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر له كالسهام لا يزال يقع فيه
وكالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا انت تقدر
على منعها فيمتنع وليس بمنزلة العين التي بين جفنتين تغمض فيسرع
او يكون في موضع خال وليل مظلم فيكفي رؤيتها واللسان الذي
هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه
وتسكينه بل القلب عرض للخواطر لا يقدر على منعها والتحفظ منها
محال ولانها تنقطع عنك بوقت ثم النفس متسارعة الى اتباعها
والامتناع عن ذلك لمجهود الطاعة امر شديد ومحنة عظيمة

والسرابع ان علاجه عليك عسيرًا وهو غيب عنك فلا يكاد يشعر
حتى يدرب فيه افة ويعرض له حاجة فيحتاج الى ان يبحث عن ذلك
ثم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة والخامس
ان الآفات اليه اسرع وهو بالانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع
انقلابا من القدر في غليانها وكذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه
والراي يضرب بالانسان اطوارا ثم ان زل القلب والعياذ بالله
فزلله اعظم ووقوعه اصعب واقطع ادناه ميل الى غير الله عز وجل
ومنتهاه ختم ونكر بالله عز وجل اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر
وكان الكبر بقلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعالى
اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى بقلبه فحمله
على ذلك الذنب المشوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افيدتهم
وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا عليها
وصرفوا عنايتهم اليها قال الله تعالى في وصفهم يخافون يوما تتقلب
فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المهتمين
بمواضع الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن النظر انه ارحم الراحمين
فان قيل ان هذا الامر لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي يصلح

وفي ذا يقول القائل
ما سمي الانسان الا لنسيه [illegible] القلب الا انه يتقلب

٤٥

عن الآفات التي تعترضه فيفسده على ان يوفق للاجتهاد في العمل
بذلك يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله هذا
الكتاب وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة
لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحو سبعين خصلة محمودة
وفي اضدادها المذمومة من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة
ونحو ذلك في ساير تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه وانتبه
عن رقدة الغافلين فنظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه
كبيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح عجايب القلب
من كتاب احيا علوم الدين وابينا على شرح جميعها بتفاصيلها وكيفية
علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه
عظيم الفايدة ولا ينتفع به الا فحول علماء الراسخين في علم الاخرة
وموضع هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي والقوي والضعيف
فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب والحاجة اليها
ماسة ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها اربعة
امور هي مداحض العابدين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب وبليات
النفوس وبعوق ويشين ويفسد ويتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام
العبد وانتظام العبادة وصلاح القلوب فالافات الاربع الامل والاستعجا ل

والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتاني في الامر والنصيحة
للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب
وفسادها والنكت التي عليها المدار فليبذل المجهود في التحرز عن هذه
الآفات والتحصيل لهذه المناقب ليكفي المؤن ويظفر بالمقصود ان شاء الله
وسأخبرك عن هذه الآفات كلها بكلمات وجيزة مقنعة اما طول
الامل فانه العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه
الدا العضال التي يوقع الخلق في انواع البليات واعلم انه اذا طال
املك هاج لك منه اربعة اشيا احدها ترك الطاعة والكسل فيها يقول
سوف افعل والايام بين يديك ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي
حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد. ومن طال امله ساء عمله
وقال يحيى بن معاذ الرازي الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق
والصبر صابر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني
ترك التوبة وتسويفها يقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب
وسني قليل والتوبة بين يدي وانا قادر عليها متى ما رمتها فربما اغتال
الحمام على الاصرار واختطف الاجل قبل اصلاح العمل والثالث
الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة يقول اخاف الفقر
في الكبر وربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء فاضل

ادخره لمرض او هرم او فقر هذا ونحوه يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص
عليها والاهتمام للرزق يقول ايش اكل وايش البس وهذا الشتا وهذا الصيف
ومالي شيء ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد
لي من قوت وغنية عن الناس فهذه وامثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة
فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها والمال وهو اقل ما في الباب ان تشغل
قلبك وتضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فايدة ولا طايل على ما روي
عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف
ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب
والنسيان للآخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر
كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخوف ما اخاف عليكم اثنان
طول الامل واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن يصير فكرك ومعظم
قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك
فيقسو القلب من هذه وانما رقة القلب وصفوته هو بذكر الموت
والقبر والثواب والعقاب والاحوال الآخرة واذا لم يكن شي من ذلك
فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم ولانك اذا طولت املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك
وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن

العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى آخذيك فاي حال
اسوأ من حاله واية آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل
واما ان قصرت املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك
الذين عافصهم الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري
يا نفسي الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لم
يكمله ومنتظر غدا يستكمله لم يدركه ولو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم
الامل وغروره اما سمعت قول عيسى عليه السلم الدنيا ثلثة ايام
امس مضى ما بيدك منه شي وغد لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت
فيه فاغتنمه ثم قول ابي ذر رضي الله عنه الدنيا ثلثة ساعات ساعة
مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست
تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول
سيحنا الدنيا ثلث انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس انت
فيه ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا فاجاه الموت
قبل نفس الآخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادري
هذا النفس الواحد الى طاعة الله تعالى قبل ان تفوت والى التوبة
فلعلك في نفس الثاني تموت ولا تهتمي يا نفس بالرزق فلعلك لا تبقين
فتحتاج اليه فيكون وقتك ضايعا او الهم فضلا وما على ان يهتم

الانسان بالرزق ليوم واحد وساعة واحدة او نفس واحد اما تذكري
قول النبي عليه السلم لاصحابه اما تعجبون من اسامة المشتري
الوليدة الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما وظننت
اني ارفعها ولا لقمت لقمة وظننت اني اسيغها حتى تدركني الموت
والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها
الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار
يقصر املك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات
وتعجل توبتك فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها
فيخف حسابك وتعبك ويقع قلبك في تذكر الآخرة واهوالها وما هو لا
من نفس الى نفس تصبر الهنا وتعاينها واحدا فواحدا فيزول عنك القسوة
ويبدو لك الرقة والصفوة ويستشعر عنك ذلك الخوف من الله
والخشية فيستقيم امر عبادتك بقوى الرجا في ان تسعد في عاقبتك
فتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب
هذه الخصلة التي هي قصر الامل ۞ ولقد حكى ان زرارة بن اوفى
رحمه الله قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال
الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الرجل وابذل المجهود في هذا
الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم في اصلاح القلب والنفس والله تعالى

ولي التوفيق بفضله ورحمته واما الحسد فانه المفسد للطاعات
الباعث على الخطيات وانه الداء الذي ابتلي به الكثير من القرا والعلما
فضلا عن العامة والجهلا حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب بالعصبية
والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق
بالجهل والعلما بالحسد ۝ وان ثلثة يبلغ شومها ان اوردت العلما النار
لحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد يهيج خمسة اشيا احدها
افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور على ما قال وهب
رحمة الله عليه للحاسد ثلث علامات يتملق اذا شهدت ويغتاب
اذا غاب ويشمت بالمصيبة ۝ وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة
من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من
شر الشيطان ۝ فانظر كم له في الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان
والساحر حتى انه لا مستعان عليه ولا مستعاذ الا بالله رب العالمين
والثالث التعب والغم بلا فايدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن
السماك رحمة الله لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دايم
وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام

الله تعالى ولقد قال سفين الثوري عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن
حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن
حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر
بمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الطعين غير ذي دين والعايب غير عابد
والنمام غير مامون والحسود غير منصور ۝ قلت الحسود كيف يظفر
بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى عن عباده المسلمين وكيف ينصر
على اعدايه وهم عباد الله المومنون ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال
اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم وان دا يفسد عليك
الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس ويهن القلب
والنصر على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي دا يكون ادوى منه فعليك
معالجة نفسك من ذلك والله ولي التوفيق واما الاستعجال والنزق
فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي وان منها لابد واافات
اربع احدها ان نقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة يجتهد فربما
يستعجل في نيلها وليس ذلك في وقتها فاما ان تفتر وياس ويترك الاجتهاد
فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجد واتعاب النفس فينقطع عن المنزلة
فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان دينا هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت

لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان لم يستعجل يصل ولبعضهم
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعوا الله تعالى فيها ويكثر الدعاء
ويجد فربما يستعجل في غير وقتها ولا يجدها فيفتر ويسأم ويترك الدعاء
فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغضب
فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في
معصية وهلاك قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع
الورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده
من اكل وشرب ولبس وكلام بتثبت وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور
غير متأن متثبت فيها متبين لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب
ويسارع الى الكلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك كل صح
في كل امر فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع واذا كان فخصلة
الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه
ثم خطر فوت الورع الذي هو راس المال فحق الانسان ان يهتم لها بالازالة
واصلاح النفس بعدها والله الموفق بفضله واما الكبر فانه الخصلة
المهلكة راسا اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين ولبئست

هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في عمل وتضر بفرع انما تضر بالاصل
ويقدح في الدين والاعتقاد فاذا تمكنت وبلغت لا يتدارك العياذ بالله
ثم اقل ما يجر منها على صاحبها اربع آفات احديها حرمان الحق وعمى القلب
عن معرفة آيات الله تعالى وفهم احكام الله تعالى قال الله تعالى ساصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على
كل قلب متكبر جبار والثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله
تعالى انه لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلم قال يا رب من
ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه
وبخلت يده وساء خلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا والآخرة
قال حاتم رحمه الله احببت الموت على ثلثة على الكبر والحرص والخيلاء فان
المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل اهله وخدامه
والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يخرجه الى لكسرة او شربة
ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله
وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله ذلا بحق والرابعة النار
والعذاب في العقبى على ما روي ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ادخلته في النار والمعنى
ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تخصني ولا ينبغي لاحد غيري

كما أن رداء الإنسان وإزاره تخصه لا يشاركه فيه غيره ○ وإن
خصلة تفوتك معرفة الحق وهم آيات الله تعالى وأحكامه الذي هو أصل
الأمر وثمرة ذلك المقت من الله سبحانه وتعالى والخزي في الدنيا والنار
في الآخرة ثم لا يسع العاقل أن يغفل عن ذلك في نفسه فلا يصلحها بإزالتها
بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله تعالى من ذلك وهو جل وعز ولي
العصمة والتوفيق بمنه فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال
الأربع وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل إذا أهمه أمر قلبه
وحامى عن أمر دينه والله الموفق فإن قلت فإذا كان الأمر
بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال ولزوم التحفظ منها فلا بد معرفة حدها
وحقيقتها فبين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق إلى التحفظ عنها فاعلم
أن في كل واحد منها كلاما كبيرا وقد أشبعنا القول في كتاب الإحياء والأسرار
ونحن نذكر هاهنا ما لا بد من ذكرها ولا يقع الغنى عنه فنقول وبالله التوفيق
أما الأمل قال أكثر علمائنا إنه إرادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم
والقصر الأمل ترك الحكم فيه بأن تقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى
وعلمه في الذكر أو يشترط الصلاح في الإرادة فإذن إن ذكرت حيوتك
بأني أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع
فأنت آمل وذلك منك معصية إذ هو حكم على علم الغيب فإن قيدت

بالمشية والعلم من الله تعالى فيقول أعيش إن شاء الله تعالى أو إن علم الله تعالى
أني أعيش فقد خرجت عن حكم الأمل وكذلك إذا أردت حيوتك للوقت الثاني
قطعا فأنت آمل وإن قيدت إرادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الأمل
ووصفت بقصر الأمل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر
البقاء وإرادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على
ذلك وتثبيت القلب عليه فافهم راشدا إن شاء الله تعالى ○ ثم
الأمل ضربان أمل العامة وأمل الخاصة فأمل العامة أن تريد الحيوة والبقاء
لجمع الدنيا والتمتع بها فهذه معصية محضة وضدها قصر الأمل
قال الله تعالى ويلههم الأمل فسوف تعلمون وأمل الخاصة أن تريد البقاء
لإتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فإنه ربما
يكون خير معين لا يكون لعبد فيه أو في إتمامه صلاح بأن تقع بسببه
في آفة لا تقوم بها هذا الخير فإذن ليس للعبد إذا ابتدأ في صلوة أو صوم
أو غيره أن يحكم بأنه يتمه إذ هو غيب وأن لا يقصد ذلك قطعا لأنه ربما
لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء وبشرط الصلاح ليتخلص
من عيب الأمل قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك
غدا إلا أن يشاء الله وضد هذا الأمل فيما قال علماء النية وإنما قالوا ذلك
على ضرب من الاتساع لأن الناوي بالنية المحمودة يكون متمنعا من الأمل

فهذا حكم الامل فالنية المحمودة اذن قد مست الحاجة اليها والى معرفتها
مع انها الاصل الاصيل قالوا في حدها التام الجامع ان النية الصحيحة
المحمودة ارادة اخذ عمل مبتدا به قبل سابر الاعمال بالحكم مع ارادة
اتمامه بالتفويض والاستثناء فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء
ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال له لفقد الخطر في الابتداء
اذ هو في حال الابتداء ليس لشي متراخ عنك ولثبوت الخطر في الاتمام
اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطر اذ خطر الوصول لا يدري هل
يصل الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح ام لا
فاذن وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا
حصلت الارادة على هذه الشروط يكون حينئذ نية محمودة مخرجة
عن حد الامل وآفته فتامل جدا هذه واعلم ان حصن قصر
الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاة الموت واخذه على غفلة وغرة
وهو في غرور وفتون فاحفظ هذه الجملة وحصلها موفقا فان
الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال
وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال
نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها
عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله عليه السلم

لا حسد الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد
اتساعا لمقاربتهما فان لم يكن فيه صلاح فاردت زوالها عنه وذلك
غيره ايضا فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد النصيحة
وهي ارادة بقاء نعم الله تعالى على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل
كيف نعلم ان له فيها صلاحا وفسادا لننصحه ونحسده فاعلم انه قد يكون
لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن مما يجري مجرى العلم في هذه المواضع
ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة احد من المسلمين وبقاها الا
مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد وتحصل لك
فايدة النصيحة واما حصن النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر
ما اوجب الله تعالى من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما
عظم الله تعالى من حق المومن ورفع من قدره وما له عنده من الكرامات
العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوايد الجليلة في الدنيا من التعاون
والتظاهر في الجماعات والجمعات ثم ما ترجوا من شفاعته في الآخرة
فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسده في نعمة
اعطاه الله عز وجل اياه والله تعالى ولي التوفيق بمنه واما العجلة
فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر
دون التوقف فيه والاطلاع عليه والاستطلاع فيه والاستعجال في اتباعه

والعجلة وضدها الأناة وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط
في الأمور والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها وأما التوقف فضده
التعسف قال شيخنا الفرق بين التوقف والتأني أن التوقف قبل الدخول
في الأمور حتى يستبين له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى يؤدي
لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الأناة ذكر وجوه الخطر في الأمور
التي تعرض للإنسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في النظر
والتثبت من السلامة وأما التعسف والاستعجال من الندامة والملامة
هذه وأمثالها مما يبعث على التأني والتوقف في الأمور ويمنع من الاستعجال
والتعسف والله ولي العصمة برحمته **وأما الكبر** فاعلم أنه خاطر في رفع
النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة خاطر في وضع النفس
واحتقارها والعمل التواضع ولكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع
العامي هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته
الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي هو تزيين النفس على قبول الحق ممن كان
وضيع أو شريف والتكبر في مقابلة الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة
وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العامي أن تذكر مبتداك ومنتهاك
وما أنت عليه في الحال من ضروب الآفات والأقذار كما قال بعضهم أولك
نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما حامل العذرة وحصن

التواضع الخاصي هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل
فهذه جملة كافية لمن استبصر والله الموفق برحمته ○
الخامس فصل البطن وحفظه ثم عليك بحفظ البطن
وإصلاحه فإنه أشق الأعضاء إصلاحا على المجتهد وأكثرها مؤونة
وشغلا وأعظمها ضررا وأثرا لأنه المنبع والمعدن ومنه تهيج
الأمور في الأعضاء من قوة وضعف وعفة وجماح ونحوه فعليك
إذن بصيانته عن الحرام أولا والشبهة ثم من فضول الحلال ثانيا
إن كانت لك همة في عبادة الله تعالى فأما الحرام والشبهة فإنما
يلزمك التجنب عنها لثلاثة أمور أولها حذرا من نار جهنم قال الله تعالى
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا وقال النبي عليه السلام كل لحم نبت من الحرام فالنار
أولى به والثاني أن آكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة
إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى إلا كل طاهر مطهر قلت أما ليس الله تعالى قد
منع الجنب عن الدخول إلى بيته والمحدث عن مس كتابه قال عز من قائل
ولا جنبا إلا عابري سبيل وقال لا يمسه إلا المطهرون مع أن الجنابة والحدث
أمر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة
متى يدعى إلى خدمة الله تعالى العزيز الكريم وذكره الشريف سبحانه كلا

فلا يكون ذلك ابدا وقال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة مخزونة
في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعا واسنانه الحلال فاذا لم يكن
للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب الخزانة كيف يصل
الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة محروم وان
اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون له
من ذلك الا العنا والكد وشغل الوقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس من صيامه الا الجوع
والعطش ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلوة امرئ
في جوفه حرام فهذه هذه ٥ واما فضول الحلال فانه افة العباده
وبلية اهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر افات من اصول
في هذا الشان الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره
وروى عن النبي عليه السلم انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب
فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض
الصالحين بان المعدة كالقدر تغلي تحت القدر والبخار يرتفع اليه
فكثرة البخار تكدره وتسخمه والثانية انه في كثر الاكل فتنة
الاعضاء وتهيجها وانبعاثها للفضول في الفساد فان الرجل اذا
كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر الا يعنيه من حرام وفضول

والاذن الى الاستماع اليه واللسان الى التكلم والفرج الى الشهوة
والرجل الى المشي اليه وان كان جايعا فتكون الاعضا كلها ساكنة
هادية لا تطمح الى شي من هذا ولا تنشطه له ولقد قال الاستاذ
ابو جعفر ان البطن عضو ان جاع هو شبع سائر الاعضا يعني
سكن فلا يطالبك بشي وان شبع جاع سائر الاعضا وجملة الامر ان افعال
الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان دخل الحرام خرج الحرام
وان دخل الفضول خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال والافعال
نبت يبدوا منه الثالثة ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان
البطنه تذهب الفطنه ولقد صدق الداراني اذ قال اذا اردت
حاجة من حوائج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل
يغير العقل وهذا علم ظاهر علمه من اختبره الرابعة ان في كثرة
الاكل قلة العبادة فانه اذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه
وفترت اعضاؤه فلا يجي منه شي وان اجتهد الا النوم كالجيفة
الملقاه ولقد قيل اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا ٥ ولقد
ذكر عن يحيى بن زكريا عليهما السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق
فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها بني ادم فقال هل تجد
لي فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلوة قال

يحيى لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا قال ابليس لا جرم اني لا انصح بعدها
احدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة واحدة فكيف بمن لا يجوع
في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفين العبادة حرفة وحانوتها
الخلوة والتها المجاعة الخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة
عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي فهذه صفات
المكاشفين وكان ابو بكر رضي الله عنه مكاشفا واليه اشار النبي
عليه السلام ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة وانما هو شيء وقر
في صدره وقال الرازي احلى ما يكون العبادة اذا التزق ظهري
ببطني السادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لان الحلال
لا ياتيك الا قوتا ولقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحلال لا ياتيك
الا قوتا والحرام ياتيك جزافا جزافا السابعة ان فيه شغل القلب
والبدن في تحصيله اولا وتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغة عنه والتخلص
رابعا ثم بالسلامة منه خامسا ان يدب منه آفة في البدن من الافات
والعلل ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة
يعني التخمة واصل كل دواء اللازم يعني الجوع والحمية ۝ وعن مالك
بن دينار انه كان يقول يا هولاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت

ثم في هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب
كثرة الاكل ما لم يخف الثامنة ما يناله من امور الاخرة وشدة سكرات
الموت وروي في الاخبار ان شدة سكرات الموت على قدر لذات
الحيوة فمن اكثر من هذا كثر له من ذلك التاسعة نقصان الثواب
في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فانه بقدر
ما تاخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى
ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا عليه السلام وقال له ولا انقصك من
اخرتك شيا حصته بذلك فدل على ان لغيره نقصان الا ان تفضل
الله تعالى عليه بذلك ۝ ولقد روي ان خالد بن الوليد اضاف
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهيا له طعاما فقال عمر رضي الله عنه
هذا لنا فما للفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير
قال خالد لهم الجنة يا امير المومنين قال عمر لئن فازوا بالجنة وكان هذا
حظنا من الدنيا فقد باينونا بونا مبينا ۝ وروي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها
ما نبذ فيه تمرات فلما قربها عمر رضي الله عنه من فيه وجد الماء
باردا حلوا فامسك وقال اوه فقال الرجل والله ما الوته حلاوة
يا امير المومنين فقال عمر رضي الله عنه ذاك الذي منعني ويحك لولا الاخرة

لشاركناكم في عيشكم العاشر الحبس والحساب واللوم والتعيير في
ترك الادب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها
حساب وحرامها عذاب وربتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفي
احدها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ
في القوت كيلا يقع في حرام او شبهة فيلزمك العذاب ثم بالاقتصار
من الحلال على ما يكون عدة على عبادة الله تعالى لئلا يقع في شر
ويبقى في الحبس والحساب والله ولي التوفيق ○ فان قلت
فبين لنا اولا حكم الحرام والشبهة وحدها فاقول نعم الله قد
شبعنا فيه في اسرار معاملات الدين وذكرنا له كتابا مفردا من
كتب الاحيا لكنا نشير الى كلمات مفردة بحيث يصل الى فهم الضعيف
المبتدي في العبادة ويعين الطالب قال بعض العلماء ما تيقنت كونه
ملكا للغير منهيا عنه في شرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن كذلك
يتيقن بذلك ولكن تغلب على الظن لانه كذلك فهو شبهة وقال
آخرون بل الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن
مما تجري مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت
الامران حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة
يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس

حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة
تقوى وورع وهذا اولى القولين عندنا فان قلت فما تقول في
جوائز السلطان في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا
فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال آخرون
لا يحل ان يوخذ ما لا يتيقن انه حلال لان الاغلب في هذا العصر
على اموال السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز ○
وقال قوم ان صلاه السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها
حرام وانما التبعة على المعطي قالوا لان النبي عليه السلم قبل هدية
المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود ومع قوله تعالى اكالون
للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ايام
الظلمة واخذوا منهم فمنهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم
وغيرهم وقال آخرون لا يحل من اموالهم شي لغني ولا لفقير
اذ هم موسومون بالظلم والغالب من حالهم السحت والحرام والحكم للغالب
فيلزم الاجتناب وقال آخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال
للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير انه عين الغصب فليس له ان
ياخذه الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال
السلاطين لانه ان كان من ملك السلاطين فاعطى للفقير فله اخذه

بلا ريب وان كان من فيء او خراج او عشر وللفقير فيه حق وكذلك
لاهل العلم قال علي كرم الله وجهه من دخل في الاسلام طايعا
وقرا القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة مايتا درهم ويروى
ويروى مايتا دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الآخرة واذا كان
كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا واذا كان الملك مختلطا
بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على مالكه وذريته
فلا يخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليامر
بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او ياذن للفقير بالقبول
وهو عليه حرام فاذن للفقير ان ياخذ الا من عين الغصب فليس له اخذه
وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقق واستيعاب القول
فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب
الحلال والحرام من الاحياء تجده مشروحا مبينا فان قيل فما تقول
في صلات اهل السيوف وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت
مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب
انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول
صدقته وصلته ولا يلزم البحث بان تقول قد فسد الزمان فان
هذا سوء الظن بذلك الرجل المسلم وحسن الظن بالمسلمين مامور به

ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب وهو ان هاهنا شيئين احدهما
حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان ياخذ
ما اتاك ممن ظاهره صلاح ولا تسال الا ان تستيقن انه غصب او حرام
بعينه وحكم الورع ان لا ياخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث
او استقصى فيه غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا ترده
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه
فقال الغلام كنت اذا جيتك بشيء لم تسلني عن هذا اللبن فقال وما قصته
رقيت قوما في الجاهلية فاعطوني هذا فتقيا ابو بكر رضي الله عنه وقال
اللهم هذا مقدرتي فما بقي في العروق فانت حسبه فهذا يدلك على وجوب
البحث عما تقدم عليه ان كان ذلك نظرا به في الورع وحقه فهذه هي
فان قيل وكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع
على اليسر والسماحة ولذلك قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة والورع
موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على المتقي اضيق
من عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد ولكن
الشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجايز يقال له حكم
الشرع والافضل والاحوط يقال له حكم الورع فيهما مع تمييزهما واحد في
الاصل فافهم ذلك راشدا فان قيل اذا جاز البحث والاستقصاء عن

كل شيء وقد اشتد علينا ما نأخذه في هذا الزمان وتعذر الامر من على صاحب
الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع
شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال
الشدة والا فلا يستقيم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع و
السابقون الى جبل لبنان وغيره واقتصروا على اكل الحشيش وثمرات فاكهة
لا شبهة فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه
ان يحتمل الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم
واما ان اقام بين الناس فاكل مما يبذلونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة
الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا بمقدار
ما يبلغه الى الطاعات فيكون له عذر في ذلك ولا يضره ان كان في
اصله شبهة فان الله تعالى اولى بقبول العذر ولهذا المعنى قال الحسن اذا
البصري رحمة الله عليه فسد السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغني
عن وهيب بن الورد رحمه الله انه كان يجوع نفسه يوما ويومين
وثلثة ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة
واخشى الضعف والالم اكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث وحرام
فلا تواخذني ثم يبل الرغيف في الماء فياكله قلت فهذان الطريقان ن
للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم فلهم احتياط

ويحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما ينبغي
ينال ما يتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلو ن
فان قيل فهذا اجانب الحرام فاخبرنا باجانب الحلال واخذ الفضول
الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون
ذلك ادبا ولا يكون فضولا عليه فيه حساب ولا حبس يقال له فاعلم
ان احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ان ياخذه العبد مفاخرا
مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون له الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب
على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر تستوجب
على باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه
معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله
وفي الاخرة عذاب شديد وقال النبي عليه السلم من طلب الدنيا حلالا
مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة
نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى
ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال عليه السلم حلالها حساب والقسم
الثالث ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدرا يستعين على عبادة الله تعالى
ويقتصر على ذلك فذلك خير وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عتاب

بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله عز وجل اولئك لهم نصيب
مما كسبوا وقال عليه السلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا
على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر
وذلك لما قصد به هذا المقصود المحمود لله تعالى فهذه هذه فاعلمها
فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا او حسنة كما ذكرتم فاعلم
انه يحتاج في كونه خيرا اي الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني
القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث ان لم ياخذ ذلك
المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنه او نفل يكون ذلك افضل
من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك
فهو حال العذر واما القصد بان يقصد به العدة والاستعانة على
عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى
عبادة الله تعالى لما اخذت ذلك مع ذكر الحجة فلما حصل ذكر الحجة
في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا خيرا وحسنة وادبا واما
ان كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون
له هذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة
الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب يحتاج الى بصيرة
والقصد مجمل فانه لا ياخذ من الدنيا بحال الا للعدة على عبادة

الله تعالى حتى انه ان ينهى عن ذكر الحجة في حال الحرايه ذلك القصد
المجمل عن تجديد ذكر الحجة قال شيخنا فصارت الامور الثلثة معتبرة
فيه كل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبر في ان حصول كونه
خيرا اصلا والقصد المجمل المقتضى عن بصيره منزلة الادب معتبر في
الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل ان اخذ الدنيا الحلال
بشهوة هل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ
بالعذر فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسمية خيرا وحسنة
والامر به تاديب والاخذ بالشهوة شر وسية والنهي عنه نهي زجر
وليس ذلك معصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس
والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي
يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسال يوم القيمة عما ذا اكتسب وفيما
انفقت وماذا اردت بذلك والحبس والحساب حبس عن الجنة مدة
الحساب وذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها عريان عطشان
وكفى بذلك بليه فان قيل فاذا احل الله تعالى لنا هذا الحلال
فاللوم والتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب
كمن اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام
وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى ٥٤

خلق الخلق لعبادته فهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق العبد ان يعبد
الله تعالى من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اى وجه امكنه
وان لم يفعل ذلك واثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة مع تمكنه
من ذلك من غير تعذر والدار دار خدمته وعبادة لا دار تنعم وشهوة
ليستحق اللوم بذلك والتعبيد من سيده فتامل هذا الفصل راشدا ولا قوة
الا بالله تع[illegible] هذه الجمل التى اردنا بيانها فى اصلاح النفس والجامها
بلجام التقوى فارع علاجها واحتفظ بها تجد نفع الخير الكبير فى الدارين
ان شا الله تعالى **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل المجهود فى
قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شده
واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم
انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان
او نفس ٥ ولقد ذكرنا فى كتبنا المصنفة من كتاب الاحيا وكتاب
الاسرار والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب
انى سالت الله تعالى ان يطلعنى على سر معالجة النفس وان يصلحنى
ويصلح بى فاقتصرت فى هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزه اللفظ
غزيرة المعنى يقنع من تاملها ويدعه على واضحة من الطريق ان شا الله
وهذا الفصل يختص بنكت فى تدله على واضحة من الطريق ان شا الله تعالى

واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل
المبتدؤن من اهل العبادة الذين هم فى اول درجة الاجتهاد
بشطر الاكتساب وكل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم
ويشتغل المنتهون اولوا الابصار من اهل العبادة بشطر الاجتناب
انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم
عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم
ولهذا المعنى قال العابد الثانى من العباد ليونس يا يونس ان من الناس
من حبب اليهم الصلوة ولا يؤثرون عليها شيا وهى عمود العبادة
بالساعات لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من
حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيا يا يونس وانا مفسر
لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل سو واجعل
صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشى افضل منه ولا تصوم
بشى ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية
والاجتهاد فان حصل لك الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب
فقد استكمل امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم
تبلغ الا على احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم
تغنم والا خرت الشطرين جميعا وما يفعل فنام ليله ويتعبه

ثم تحبط بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل ثم تفسده بكلمة
واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما تقول
في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر
قال لا اعدل بالسلامة شيا ومثال ما قلناه حال المريض وذلك
ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء
فان اجتمعا فكانك بالمريض قد برأ وصح والا فالاحتماء به اولى
اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء ولقد ينفع ولقد الاحتماء مع ترك الدواء
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها
والله اعلم انها تغني عن كل دواء وكذا يقال الهند جل معالجتهم
الحمية يمتنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرا
ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر
وجوهره واهلها هم الطبقة العلية العليا من العبادة فعليك
ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية الى ذلك والله سبحانه وتعالى
ولي التوفيق **فصل** ثم راع هذه الاعضا الاربعة التي هي
الاصول الاول العين وحسبك فيها ان مدار امر الدين والدنيا على
القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين
ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من لم يملك عينه

فليس للقلب عنده قيمة الثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك
وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة وان
خطر العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان
بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة واحدة ما لبثت
فيه سنة واحدة بل خمسا وعشرا وكذلك قيل ما شيء احق بطول
السجن من اللسان وفيها روي ان احد العباد السبعة قال يا يونس
يا يونس ان العباد اذا اجتهد وان العبادة لم يتفقوا في عبادتهم
على ترك الكلام في فضل طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا تكونن
عندك شيء اكبر من حفظ لسانك ولا تكونن لشيء اغنى به من سلامة
صدرك فهذه هذه ثم اذكر الانفاس التي تكلمت بها في الفضول
ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر لك
فتربح راس مالك وقلت لا اله الا الله فيغفر الله تعالى فيكون لك من
الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسال الله العافية
فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو من بلية
الدنيا والاخرة والا تكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع
أن يفوت عن نفسك كل هذه الفوايد الكريمة فيجعل نفسك وقتك
في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيامة ولقد احسن

القايل في قوله   واذا همت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
والثالث البطن وحسبك ان مقصودك العبادة وان الطعام
بذر العمل وماؤه ومنه يبدو وينبت واذا اخبث البذر لا يطيب
الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك رضك ولا تفلح ابدا ومن
ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي رحمه الله انه قال اذا صمت فانظر
على اي شي تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم من اكل
اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة
حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراة سورة وان العبد ليأكل
الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق
والاحتياط البالغ الشديد في قوتك ان كان لك عناية
بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون
من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حمالا للطعام
مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل راينا عيانا ان عبادة لا تحلى
منها شي اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهدت
بضروب الحيل ولا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك
قيل لا تطمع في حلاوة العبادة مع كثرة الاكل واي نور في تقوى بلا
عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابرهيم بن ادهم
رحمه الله

صحبت اكثر رجال الله في جبل لبنان وكان يوصوني اذا رجعت
الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة
العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا الناس
فلا ينتظر رضا الرب ومن يكثر الكلام في الفضول والغيبة
فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل بن عبد الله
رحمة الله عليه انه قال جمع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها
صارت الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والاعتزال
عن الناس وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع راس مالنا ومعناه
ان ما يحصل لنا من فراغة وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع
بسبب الجوع والصبر عليه لله تعالى واما القلب فحسبك
انه اصل الكل ان افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح الكل
اذ هو الشجرة وساير الاعضاء اغصان ومن الشجرة يشرب الاغصان
ويصلح ويفسد وانه الملك وساير الاعضاء تبع واركان واذا
صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت فاذن صلاح
العين واللسان والبطن وغيرها دليل على صلاح القلب وعمرانه
واذا رايت فيه خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل القلب وفساد
وقع ثم بل الفساد فيه اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل

بصيرة فتنشرح ثم امده دقيق عسر اذ هو مبني على الخواطر وهي
ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها مجهود طاقتك ففيه اقصى
المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد و
الاهتمام بامره اكثر عند ذوي البصاير وعن ابي يزيد رحمه الله
انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي
اصعب الثلثة فهذه هذه ۝ ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع
التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور والحسد والكبر واتما
خصصنا هذه الاربعة من بين ساير الخصال في هذه المواضع
وخصصناها بالاحتراز منها لانها علل القرا خاصة اذ هي
تعتري ساير الناس عموما والقرا خصوصا فيكون اقبح واشنع
فترى الرجل القاري يطول الامل وبعده نية خير فيوقعه في الكسل
والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع
عنها او في اجابة دعا صالح فيحرم ذلك او في الدعا على احد بسوء
فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه تحسد نظرا او ٥
علما اتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ منه مبلغا يحمله على قبايح
وفضايح لا تقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا قال سفين الثوري
ما اخاف على ديني الا القرا والعلما فاستنكروا ذلك منه فقال

اكاد على

ما انا قلته انما قاله ابرهيم النخعي وعن عطا رحمه الله قال قال
لي الثوري احذر القراء واحذروني معهم فلو خالفت احدهم
في رمانة فاقول انه حلوة وتقول انها حامضة ما امنت ان يسعى
بدمي الى سلطان جاير ۝ وعن مالك بن دينار رضي الله اني اقبل
شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل شهادة بعضهم على
بعض لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر
لي دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة
هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر
على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا وجهه كانما يمن
على الناس بما يصلي زيادة ركعتين وكانما جاءه من الله تعالى منشور
بالجنة والبراءة من النار وكانه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة
لساير الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف
وغيره ويتماوت وهذا لا يضاهي بالترفع والتكبر ولا يلايمه
بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد السبخي دخل
على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال
الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب
اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم

قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم بكسايه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى يشير ذو النون رحمه الله حيث قال

تصوف فازدهى بالصوف جهلا وبعض الناس ملبسه مجانه
يريك مهانة ويريك كبرا وليس الكبر من شكل المهانه
تصوف كي يقال له امين وما معنى تصوفه الامانه
ولم يرد الاله به ولكن اراد به الطريق الى الخيانه

واحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع لاسيما فان الثلاثة الاول مداحض لو زللت فيها لو قعت في العصيان والكبر مدحض لو وقعت فيه لو قعت في بحار الكفر والطغيان ولا تنس حديث ابليس وفتنه انه ابى واستكبر وكان من الكافرين والرجوع الى الله عز وجل ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه جواد كريم

فصل وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعرفت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع التنعم

وهذا الفصل في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من ثلثة اما انت من ذوي البصاير والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة لله وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيضة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا بلغ شومها ما تمنعك ارادتها تشغلك والفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما انت من اهل الغفلة لا بصيرة تبصر الحقايق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها او تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لا تبقى لها فاي فايدة اذن في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها لقد احسن القايل حيث يقول

هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الى زوال
وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم اذن بارتحال

فلا ينبغي لعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القايل فيها

اضغاث نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثله لا يخدع

واما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم وافضلهم عند الله تعالى يحتاج مع ذلك

الى ان يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك
ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك ان خالطتهم
ووافقتهم في اهوايهم اثمت وافسد امر اخرتك وان خالفتهم تعبت
باذياتهم وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يلجوك
الى معاداتهم ومناواتهم فتقطع في شرهم ولا تامن ان مدحوك
وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله اخرى وكلا الامرين
آفة مهلكة ○ ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت في القبر بثلثة
ايام فكيف يتركونك ويهجرونك وينسونك فلا يكادون يذكرونك
كانهم لم يروك يوما ولم تزهم فلا يبقى هنالك الا الله تعالى افلا
يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك من هولاء الخلق مع
قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي
يرجع اليه آخر الامر وحده ولا تبقى لك الا هو ابد الابدين والحاجات
كلها اليه والتكلان وكل عليه والاعتصام كله في كل حال وعند
كل شدة وهول به وحده لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك
ترشد ان شاء الله تعالى والله ولي الهداية ○ واما النفس
فحسبك ما تشاهد من حالاتها ورداءة ارادتها وسوء اختيارتها

فهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة
تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها
مجنونا وفي حال الشبع مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت وان
جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال الاول كحمار السوء ان
اقضمته رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين
ان من رداءة هذا النفس وجهلها بحيث اذا همت بمعصية او
انبعث لشهوة فتنتها وتشفعت اليها بالله تعالى ثم برسوله وجميع
انبيايه وكتبه وجميع السلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت
والقبر والقيمة والجنة والنار لا تعطي القياد بترك الشهوة ثم اذا
استقبلتها بمنع رغيف فانها تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها
وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها قال خالقها العالم
بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل
ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال
نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى
يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون
هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس لتستروح اليهم
ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام

فقلت لها لا انزلنك العمران ولا اترك على معرفة فاجابت فاسات
الظن بها وقلت الله اصدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتكونين
من اول قتيل فاجابت وعدد اشيا ثم اراد[ها] فاجابت الى ذلك
قال فقلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت
كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم مرارا بمنعك اياي من
الشهوات ومخالفتك ولا يشعر به احد فان قاتلت
قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد
احمد ويكون لي شرف وذكر قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو
في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها تري الناس
بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القايل واحسن فيما قال
توق نفسك لا تامن غوايلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
فتنبه رحمكم الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها
قلبك بكل حال تصب وتسلم ان شا الله ثم عليك بالجامها
بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا اصيلا
وهو ان العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب
فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي
والسيات وهو التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم

65

رحمكم الله واياكم [illegible] التوكل
فصل ثم اعلم [illegible] او [illegible]
[illegible] القلب [illegible] العبد [illegible]
على اصح [illegible] بها والله الموفق الاولى
ان الله عز وجل ضمن الرزق للعباد في كتابه فقد ضمن [illegible]
وتكفل به فانك لو وعدك ملك من ملوك الدنيا ان [illegible]
[illegible] وانت حسن الظن به انه صادق ولا يكذب ولا يخلف
[illegible] بل لو وعدك [illegible] سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي
[illegible]
[illegible] ولا تهتم [illegible] فاذا
وقد وعدك الله سبحانه وتعالى [illegible] بل اقسم
عليه [illegible]
ولا [illegible] العباد [illegible]
[illegible] ومنهم من [illegible] ابي طالب رضي الله عنه
انه قال [illegible] من خوف العوافي آمنا
[illegible] وان كان مشركا ضمينا [illegible]
فلهذا المعنى نحو هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه

والعارف [illegible] أسباب المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وعلى الله فتوكلوا
إن كنتم [illegible] على الله [illegible] في حسب المرء المتهم أمر
دينه [illegible] إلا الله [illegible] الثانية
انك تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك في كتاب الله عز وجل واخبار رسول
الصادق صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتغير ولا تتبدل فان انكرت
القسمة او جوزت نقضها فقد كدت الكفر تقرعه نعوذ بالله وان
علمت انه حق لا تتغير فاي فايدة في الاهتمام والطلب الا الذل الحاصل
في الدنيا والشدة والخسران في الآخرة وان لك ما [illegible] صلى الله عليه وسلم
مكتوب على ظهر الحوت والهوى [illegible] رزق فلان بن فلان فلا زاد الحرص
الاحمق ولا [illegible] يقول سبحانه ازيد ما قدر لما ضعفك ان يضعفه ولا
يمنعه عجزك [illegible] ولا نافع الذل وهذه نكتة
مقنعة للاجل [illegible] عن الاسباب
ان كن [illegible] فهي اليسر هذا
الرزق الحسي والعيون [illegible] ان حبوة
الثلاثة في حرانة القو [illegible]
[illegible] تعني
[illegible] على توكل الله تعالى بيده كيف شاء فانا ساكن النفس
بذلك وهذه نكتة مقنعة لاهل التحقيق الا العجم ما ذكرنا في

بعض الفصول ان الله تعالى ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق الموعود
الذي هو الغذاء والتربية وفيها القوام والتغذية واما الاسباب
من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله [illegible] وتوكل
على الله عز وجل فربما تحتبس عنه الاسباب فلا تعبان لذلك ولا تضجر
لما علم من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على الله
عز وجل انما هو بهذا المعنى لا غير والمنتظر من الله عز وجل هذا
المعنى فان الله عز وجل لا محالة يمده بالقوة ليقوم نحو العبادة والخدمة
ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله تعالى قادر
على ما يشاء ان شاء اقام بنية عبده بطعام وشراب او بطين وتراب
او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بغير هذا كله فليس مطلوب
العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الا الاكل والشرب وشهوة
التشهي ونيل اللذة [illegible] الملاهي [illegible] ولهذا المعنى
قويت الزهاد والعباد على الاسفار [illegible] في الليالي والايام فمنهم
من لم ياكل عشرة ايام ومنهم من لا ياكل شهرا او شهرين وهو على
قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله له غذاء نحو ما ذكر عن
الثوري رحمه الله انه تعذرت نفقته بمكة فلبث خمسة عشر يوما يستف
الرمل وقال ابو معوية رايت ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما

وعن الاعمش قال قال لي ابرهيم التيمي ما اكلت منذ شهر قبل منذ شهر
والاول ... الا ... [illegible] ... من عنب ... فانا
اشبه ... [illegible] ... تعالى القوت على الناس
وهذا مريض له ... كل شهرا ويموت بعيش والمريض ...
اضعف نفسا وارق طبعا من القوي واما الذي يموت جوعا فذلك
اقل حضرم كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن ابي سعيد الخراز
انه قال كان حالي مع الله تعالى ان يطعمني في كل ثلاثة ايام فدخلت
البادية فمضت علي ثلاثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت
ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك
سبب او قوة فقلت لا الا القوة فقمت من وقتي وقد استقويت فاقمت
اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاذا ما راى العبد
احتباس الاسباب عنه وقام من نفسه التوكل على الله عز وجل فليستيقن
ان الله تعالى يريد به القوة فلا يضجر لذلك بل حقه ان يشكر الله تعالى
على ذلك شكرا كبيرا فان له المنة والصنع واللطف اذ دفع عنه المؤنة
واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود ودفع عنه ثقل
الواسطة وخرق له علائق العادة واراه طريق القدرة وان شبهه
حاله بحال الملائكة ورفعه عن حال البهائم والعامة في تلك الكرامة

فنا ... من الاصل الكبير بعلم الربح العظيم ان الله تعالى ...
[illegible]
النهاية ... قول لعمر الله ان العبد اذا تجرد ... وعزم ...
... في هذا الشان في العبادة ... امر الدارين الدنيا والعقبى
ثم لم ... في هذا الشان فليتمسك بذلك وليراع حقه والا هو
عن المقصود بمعزل والذي يدلك على ما يصبح على الاخرة العارفين
بالله عز وجل انهم بنوا امرهم على التوكل على الله تعالى والتفرغ لعبادته
وقطع العلائق كلها فلم يصنفوا من كتاب ولم اوصوا بوصيته
وقبض الله تعالى لهم اعوانا من السلطان واصحابا فتمشي لهم من الخير
المحض ما لم يتمشى لطائفة من طوائف الامة الا ان تعاد الكرامية على اصول
غير منتقية وما زلنا اعرف ما ... على منهاج ايضا يخرج من
معابدنا ومدارسنا ... [illegible] ... اما ائمة العلم كالاستاذ ابي اسحق
وابي حامد وابي الطيب وابن فورك ... الامام واما ائمة من
السلطان واما صدق في العبادة كابي اسحق الشيرازي وابي ...
الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن فاق الامة علما وزهدا حتى
ضعفت القلوب عن بعضنا ولطحنا بني من العوائق التي ضرها
اكثر من نفعها فتراجعت الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات

[illegible] الحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عباده او [illegible]
[illegible] من زمن [illegible] الآن ليست ممن بقي على [illegible]
وسئل [illegible] ومحمد بن ادريس الشافعي
والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضي الله عنهم فهم [illegible]
فما صحبوا الايام الا تعففا   وما وجدوا من حب سيدهم بدا
انا صابر صدقتون اهل روايه   اي سيد السادات قد جعلوا الفصدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر   وما حلت الايام من عقدهم عقدا
وكنا في الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا
رجالة وليتنا لا نقطع عن الطريق بمرة والله المستعان على المصائب
والمسؤل ان لا يسلبنا هذا اليوم انه جواد كريم منان رحيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما التفويض فيه اصلين احدهما انك
تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها
ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا فلا يامن ان يختار الفساد
والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبدوي او قروي
غتم انتقد لي هذه الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي
لذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي فربما يعثر ايضا فلا يامن اذا الا
بان يعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الغش

والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك
القادر الغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفا لهم وان مؤنتهم
اكثر من معونتهم تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه فتنتفع بخيرهم
وتجتنب ضرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته فلا تندم
على خدمته وانس بكتابه وملازمتك اياه فيكون لك بكل
حال وترى منه كل جميل وافضال وتجده عند كل نايبة في
الدنيا والآخرة كما قال عيسى بن مريم عليهما السلام احفظ
الله تجده امامك حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث
قد تجرد لمعاداتك فاستعذت بربك القاهر من هذا الكلب
اللعين فلا تقعد عن مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله تعالى
ولا تعاني بذلك فانه يسير اذا ظهرت عزيمة الرجال وانه كما
قال تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال ء
ولقد صدق ابو حازم فيما ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى
حلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فيما نفع
وعصي فيما ضر ولو علمت جهالة هذه النفس وجماحها الى
ما يضرها ويهلكها فنظرت لها رحمة لها نظرة العقلاء
العلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان

الذين الى الحال ولا يفطنون لغايلة الأذى ويسرقون من مرارة
الدواء فالجمها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه
بالحقيقة من فضول في كلام ونظر وتلبيس بخصلة فاسدة من
طول امل او عجل وحسد مسلم وتكبر في غير موضع او اكل
لمحض شهوة وشره وتعظيما مالبس لها منه بد ولا يخاف منه
ضرر اذ لا ضرورة الى ذلك وقد وسع الله تعالى الامر على عباده
رحمة واغناهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فاى حاجة الى
ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى اهون
شيء اذا ابتغى شيئا تركته فان النفس ستلين وتتعود ما
عودتها وانه كما قال القايل

فالنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع
وقال الاخر ... هي النفس ما حملتها تتحمل
وقال الاخر ... وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان اطمعت والا تسلت ... فاذا عملت الذي ما وصفناه تاقت صح

كنت من الزاهدين الراغبين في الآخرة ○ واعلم ان من سمي
باسم الزاهد فقد سمي بالف اسم ممدوح وكنت من المتفردين
المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى الذين هم اهل الانس

وخدم رب العزة كما قال القايل

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته ... وعن ساير الخلق اغناهم

وكنت من المجاهدين في الله تعالى الخواص من عباده الذين قال
فيهم سبحانه وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت
من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ افضل
من كثير من الملايكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوهم
الى قبيح ولا الى نفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة
الشديدة وراك وسبقت العوايق كلها الى مقصودك ولا
يهولنك فانه مع الاستعانة بالله تعالى والاعتصام به لهين
نسال الله تعالى التوفيق وهو خير مسول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والاستعا نه كل
به في كل معضل فبيده الامر والخلق كله وهو على شيء قدير
فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الرابع

في العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف العوارض الشاغلة

عن عبادة الله تعالى فنبيّن سبيلها عنك لئلا يشغلك عن مقصودك
وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس
بذلك واما كفايته بالتوكل على الله تعالى في موضع الرزق
والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما ليتفرغ للعبادة
ويمشي الخير حقه فان من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله
عن عبادة الله تعالى بسبب الحاجة والرزق والمصلحة
اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن كعامة
الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين
فالعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها
والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل نقول كل من هو ضعيف
القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم فلا يكاد يتم له امر
خطير من دنيا او آخرة انما كثيرا سمعت من شيخي ابي محمد
يقول انما الامور يمشي في العالم لرجلين متوكل او متهور
قلت انا وهذا الكلام جامع في معناه فان المتهور يقصد
الامور على قوة عادة وجرأة قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه
او خاطر يضعفه فيجري له الامور والمتوكل يقصد الامور
على قوة وبصيرة فكمال يقين اطمانينته بوعد الله سبحانه وتعالى

وتمام ثقته بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه والشيطان يوسوسه
فيغويه بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المعلوق الضعيف ابدا بين تكول
وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج في نقمه يرمق
ما يعوده من صاحبه لا يكاد يشغل من ذلك يقاعدت نفسه عن معالي
الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا وان قصده فلا
يكاد يظفر ولا يتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم
ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم
واهليهم اما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء اما هلاكا
واما ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية وقيل ان معوية
رضي الله عنه لما نظر الى العسكر يوم صفين قال من اراد خطيرا خاطر
بعظيمته واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم
واموالهم في المقاطع شهرا او شهرين يطيعون انفسهم على احوال امور
ما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح
عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه ورق
عزمه لا يكاد ينقطع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته
الى دكانه طول عمره ابدا لا مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح
عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه ربحا على بضاعته درهما

في الحرص

فذلك له كسر لذلك التعلق وتنبيه بشيء معلوم فهذا في الدنيا وأبنائها
وأما أبناء الآخرة فرسان عالم هذه الخصال التي هي الزهد والتوكل وقطع
القلب عن العلائق فلما أحكموها وحصلوا أحكامها تفرغوا لعبادة الله
تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الأرض واقتحام
الفيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا أعلام العباد وزين
الدين وأحرار الناس وملوك الأرض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون
ويقصدون الأمور العظام علماً وعبادة كما يشاؤون لا عائق لهم
ولا حاجة دونهم فكل الأماكن لهم واحد وكل الأزمان عندهم واحد
وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله
ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده
وعن سليمان الخواص لو أن رجلا توكل على الله بصدق النية لاحتاج
إليه الأمراء من دونه فكيف يحتاج هو والله الغني الحميد وعن إبراهيم
الخواص قال لقيت غلاما في التيه كأنه سبيكة فضة فقلت يا غلام
إلى أين قال إلى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين
الذي يقدر على حفظ السماوات والأرض يقدر أن يوصلني إلى مكة
بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة إذا هو في الطواف يقول
يا نفس سيحي أبدا ولا تحبي أحدا إلا الجليل الصمدا يا نفس موتي كمدا

فلما رآني قال يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف وقال أبو مطيع لحاتم
الأصم بلغني أنك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد فقال زادي أربعة
أشياء قال يا حاتم ما هي قال أرى الدنيا والآخرة ملكا لله عز وجل وأرى الخلق
كلهم عبيد الله عز وجل وأرى قضاء الله نافذا في خلقه في جميع أرض الله
ولقد صدق من قال أرى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة
إذا أبصرتهم أبصرت قوما ملوك الأرض سيمتهم سماحة
وأما الأمر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله عز وجل في هذا الشأن الذي
في تركه الخطر العظيم والأمر الكبير قلت إن الله تعالى قرن الرزق
بالخلق فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل أن الرزق من الله عز وجل لا من غيره
كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال عز وجل إن الله هو الرزاق ثم لم
يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان
حتى أقسم فقال فورب السماء والأرض إنه لحق ثم لم يكتف بذلك كله
حتى أمر بالتوكل وأبلغ وأنذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال
سبحانه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف
بوعده ولم يطمئن لضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بأمره ووعده ووعيده
فانظر ماذا يكون حاله وأية محنة تجيء من هذا وهذه والله مصيبة شنيعة
ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم

لابن عمر رضي الله عنه كيف انت اذا بقيت في قوم يخبأون رزق سنتهم لضعف
اليقين وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت
الملايكة عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم اغضبوا
الرب حتى اقسم الرب على ارزاقهم وعن ابي بكر الوراق رضي الله عنه لو عبدت
الله عبادة اهل السماء والارض لا يقبل الله منك حتى تصدقه قيل
وكيف نصدقه قال يكون امنا بما تكفل الله عز وجل من امر رزقك
وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال هرم بن حيان لاويس
اين يامرني ان اقيم فاومأ بيده الى الشام فقال كيف المعيشة بها قال
اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وبلغنا
ان شبابا تابوا على يدي ابي يزيد البسطامي فسال ابو يزيد البسطامي
فسال ابو يزيد عن حالهم قال فتشت عن القوم فلم ار وجوههم الى القبلة
الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك همة الرزق حولت وجوههم
عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فسال
عن حاله فقال [illegible] قال الا [illegible] للمتوكلين فنسال الله تعالى
ان يصلحنا بفضله ولا يواخذنا بما نحن اهله انه ارحم الراحمين
فهذه هذه فان قلت فاخبرنا عن حقيقة التوكل وحده وما يلزم
العبد منه في امر الرزق فاعلم انه انما يتبين لك هذا باربعة فصول

للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني اسرائيل بما صبروا وقيل في كتب يوسف الى جواب يعقوب عليهما السلام
انه ايك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا
المعنى شعر: لا تيأسن وان طالت مطالبه ... اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
بيت: اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا ومنها ثنا الله تعالى قال الله تعالى انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال تعالى
وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون ومنها المحبة من الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب
الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة قال تعالى اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا ومنها الملائكة [illegible] قال تعالى سلام عليكم
بما صبرتم ومنها ثوابه [illegible] في الفضل [illegible] اوهام الخلق
عدهم وتحصيلهم قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فسبحانه من سيد ماجد ما اكرمه [illegible] وكل [illegible] في الدنيا
والاخرة يعطي عبده على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة
في الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء خيرا واوسع

من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جميع خير المؤمن في صبر ساعة والله
ولقد احسن القائل حيث يقول
الصبر مفتاح ما يرجى فكل خير به يكون اصبر وان طال الليالي فربما امكن الحرون
وربما نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون ولبعضهم يقول
صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها تكن من
الفائزين فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر
من طريق اللغة الحبس قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
اي احبس نفسك معهم والذي اوصى الله تعالى بالصبر على معنى حبسه العذاب
عن المجرمين فلا نعلمه في المعنى الذي هو من مساعي القلب سمي صبرا
لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قال العلماء ذكر اضطرار [illegible]
عن الشدة [illegible] مسائلين اولياء الشدة بالحكم والصبر تركه
وحسن الصبر ذكر بعض اصحابنا انه رأى انها لا يبين ولا ينقص
ولا انا اخبر ولا اشتغل [illegible] انه الضر والخطر وحسن
هذا الحسن ذكر عنه [illegible] ان الله تعالى [illegible] العز ذلك لديه فهذه
هذه وبالله التوفيق فصل لعلك يقطع هذه العقبة الشديدة
المنيعة بدفع هذه العوارض الاربع وازاحة عللها والاقبال على

تذكر مقصودك من العبادة وتتفكر فيها فضلا عن ان تدركها
وتحصلها وان لك واحدها ما شغلك [illegible]
اعظمها وافضلها امر الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق
اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وغمومهم وضيعت
اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله عز وجل
وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا في ظلمة
وغفلة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الاخرة مفلسين بين ايديهم
الحساب والعذاب ان لم يرحم الله تعالى بفضله فانظر كم اية انزل الله تعالى
في ذلك من ذكر من وعده وضمانه وقسمه في ذلك ولم يزل الانبياء
والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب
ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لا يهتدون
ولا يستقون ولا يطمئنون بل [illegible] يخافون ان
يفوتهم غدا وعشاء واحسب شيئا انه لا يحمله الا تدبر ايات الله عز وجل
وقلة التفكر في صنع [illegible] بعد ما وكلنا كم لكلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وترك الناس الا قول رب العالمين ومالوا الى وساوس الشيطان
والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن
الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فتمادى بهم ذلك الى

بصدق القلب وقوة اليقين. واما الخواص الذين اولو الابصار وارباب
الهمة والاجتهاد ابصروا طرق السماء فلم يعبؤوا باسباب الارض
واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلائق الخلق ووثقوا بالخالق
عز وجل وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق
والنفس فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان بشيء قاموا معه
بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل عنهم
الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما
ذكر عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان
فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه ان
يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل
من اميالها الف ركعة وقام [illegible] وبقي في البادية اثنتي عشرة
سنة حتى ان الرشيد حج [illegible] اولياء الله [illegible] فرآه تحت ميل يصلي
فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم [illegible] فرأى [illegible] كيف تجدك يا ابا اسحق
فانشا ابراهيم يقول [illegible] تعالى [illegible] فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
[illegible] وجاد بدنياه لما يتوقع
وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس اليه الشيطان
بانك متجرد وهذه بادية لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه بان يمضي

على تجرده وان لا يترك الطريق [illegible]
حتى يجعل في فمه [illegible] المحيط بالامور من جميع الاقطار على وجهه
بالحضرة [illegible] ذا احد ان يكون له الاختيار لمشيئته
فلما [illegible] الى ذكر يقول عز وجل [illegible] الله [illegible]
[illegible] الي فنهضت [illegible] يعلم الا [illegible] غشي علي
من الجوع والعطش فيها ثلاثة [illegible] وكان موفقا فلا [illegible]
[illegible] فسددت فمي واسناني [illegible] الجوانب حتى
يفتحه [illegible] فضحكت وفتحت بابي فلا [illegible] مجنون انت فقلت
لا والله ولكني [illegible] اخبرته [illegible] مع الشيطان وعن
بعض مشايخنا قال نزلت في بعض [illegible] مسجدا ايام التعلم وكنت
متجردا على حال اوليائنا فوسوس الي الشيطان ان هذا مسجد بعيد
عن الناس [illegible] الكرام [illegible]
[illegible] الصلاح [illegible] الا الحلوا ولا
[illegible] وتطيين [illegible] الا [illegible] الباب
[illegible] الصلاح كيف ما كان الامر [illegible] وكلت الامر الى [illegible]
الى الدق فتحت الباب [illegible] العالمين ومعها [illegible] الباب وقد دخلت
[illegible] بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب الذي صنعت

[illegible]
[illegible] البقا[illegible] واما الخا[illegible] لفما [illegible] كل حي بالكلية [illegible]
نضع [illegible] فقل رحمك الله واخذت
الصالحين [illegible] ابنا[illegible] من [illegible]
ان تعلم ان الر[illegible] ذلك فوايد [illegible] احدها
الرزق والتو[illegible] والثانية ان تعلم ان [illegible]
[illegible] ان مثل [illegible] ان [illegible] غوايل و وساو[illegible] عظيمة
الشيطان بعد [illegible] النفس واسبابه وكثرة المجاهدات [illegible] منهم
له حتى يحتاجوا الى [illegible] مناقضات ولعمري ان [illegible] جاهد
النفس والشيطان [illegible] ان [illegible] وسالة [illegible] بيان
لمبتدي العلماء [illegible] سلكة في الرياضة ولو نظرا
لاولى الابصار [illegible] كانوا [illegible] ذلك عبرة
والمجاهدة ابراهيم بن ادهم [illegible] واصحابه [illegible]
[illegible] كانوا [illegible] تعالى [illegible] ولا
[illegible] قوة العلم [illegible] حتى قووا على
تلك المجاهدات والقيام بحق تلك المعاملات فانظر لنفسك

الاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا
لرب العالمين فلا يستحق اذا احد ان يكون له الاختيار والتدبير [illegible]
لله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة ثم قال تعالى وربك يعلم الآية وحكي ان بعض الصالحين
قيل له قال الله تعالى سل تعط وكان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه
يقول للجاهل من جميع الوجوه سل تعط انا اعلم ماذا يصلح لي فاساله
ولكن اختر انت لي فهذه هذه والاصل الثاني ما تقول لو قال لك رجل
انا اقوم بجميع امورك وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك فوض الامر
كله الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك [illegible] اعلم اهل زمانك
واحلمهم واقواهم وارحمهم واتقاهم واصدقهم واوفاهم السنة تغتنم ذلك
وتعده اعظم نعمة ومنة وتعدم له اوفر شكر واجل ثناء
ثم اذا اختار لك شيئا الا [illegible] وجه الصلاح فيه فلا تضيق لذلك
بل تسر وتطمئن انه بين شفاعته لا يختار لك الا ما هو الخير وما نظر
لك الا الصلاح كيف ما كان الامر بعد ما وكلت الامر اليه وضمن ذلك فالك
اذن لا تفوض الامور الى الله رب العالمين وهو الذي يدبر [illegible] من السماء
الى الارض فهو اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واعطف
شيء ليختار لك بلطف علمه وحسن تدبيره ما لا تبلغه فهمك ولا يدركه

فهمك واشتغل انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك
امرا لما يعلم من مصلحتك رضيت بذلك واطمانيت اليه فكيف ما كان فهو الصلاح
والخيرة فتامل راشدا ان شا الله تعالى واما الرضا بالقضا فانما لك
فيه اصلين مقنعين لامزيد عليهما احدهما ما في الرضا من الفايدة في
الحال والمال اما الفايدة الحالة ففراغ القلب وقلة النصب من غير فايدة
ولذلك قال بعض الزهاد اذا كان القدر حقا فالهم فضل واصله
الخبر الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود رضي الله عنه
ليقل همك ما قدر يكن وما لم يقدر لم ياتك هذا هو الكلام الجامع
القوي النافع قليل اللفظ كثير فايدته ومعناه واما الفايدة في
المال فثواب الله تعالى ورضوانه لقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
وما في السخط من الهم والحزن والضجر في الحال ومن الوزر والعقوبة في الاخرة
بلا فايدة اذ القضا نافذ فلا ينصرف [illegible] بسخطك كما قيل ما قضي
بالنفس فالصبر اولى ولكن الامن من الله [illegible] والعاقل لا يختار الهم
بلا فايدة مع الوزر والعقوبة على راحة [illegible] والاصل الثاني
ما في السخط من عظيم الخطر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله عز وجل
وتامل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما نفى الايمان واقسم على

من سخط قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضا الله تعالى
وروينا ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضاي ولم يصبر على بلاي
ولم يشكر نعماي فليتخذ ربا سواي فكانه يقول هذا لا يرضانا
ربا حين سخط فليتخذ ربا اخر يرضاه وهذا غاية التهديد و
التوعيد لمن عقل عن الله عز وجل ولقد صدق بعض السلف لما قيل
له ما العبودية والربوبية قال الرب ان يقضي والعبد يرضى فاذا
قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك عبودية ولا ربوبية فتامل هذا
هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله تعالى وتوفيقه
واما الصبر فانه دوا مرة وشربة كريهة [illegible]
ويدفع عنك كل مضرة واذا كان الدوا بهذه الصفة فالانسان
العاقل يكره النفس على شربه ويجرعها بعض على مرارته وحدته ويقول
مرارة ساعة وراحة سنة فاما المنافع التي يجلبها الصبر فاعلم ان
الصبر اربعة اقسام صبر على الطاعة وصبر على المعصية وصبر عن
فضول الدنيا وصبر على المحن والمصايب فاذا احتملت مرارة الصبر
فصبرت في هذه المواطن الاربعة يحصل لك الطاعات ومنازل اهل
الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا تقع في المعاصي وبلياتها
في الدنيا وتبعاتها في الاخرة ثم لا تبتلي بطلب الدنيا وما لها من الشغل

في الحال والتبعة في المآل ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به فهذه جملة
اذ من الصبر على الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد
والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يحيط به
الا الله تعالى واما دفع المضار فراحته اولا من معونة الجزع ومقاساته
في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى فاما ان ضعف عن الصبر وسلك
طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة اذ لا الصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة ولا الصبر على حفظها فيحبطها ولا الصبر على المواظبة
عليها ولا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة ولا الصبر
عن معصية فيقع فيها او عن فضول فيشتغل به ولا الصبر على مصيبة
فيحرم ثواب الصبر وربما يكتب الجزع فيفوت العوض بسبب ذلك
فيكون له مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه
وحرمان الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من
المصيبة فاي فايدة في شيء يذهب بالكامل [illegible] ولا يرد عليك
الذاهب المفقود فاجتهد انه اذا فاتك احدهما لا يفوتك الاخر
ومن الكلام الجامع على ما ذكر ان عليا رضي الله عنه عزى رجلا فقال
ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت جرت عليك
المقادير وانت مازور ثم اقول جملة الامر ان قطع القلب عن العلايق

الاقبال على صلاته فلا تصح اذن ارادة المباحات والنوافل وكثير
من الفرايض بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفترض الله على عباده شيا
ويتوعدهم على تركه ثم لا يكون لهم صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا
قال ان الله عز وجل لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد
عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا معدل له عن ذلك
الا وله فيه صلاح وانما ربما تسبب الله اعذارا لاجله يكون العدول
عن احد المامورين اولى من الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد
في ذلك معذورا بل ماجورا لا بترك هذا الفرض بل بفعل الذي
هو اولى ولقد سمعت الامام يقول في هذه المسالة يقول ان الذي
يفترض الله تعالى على عبده من الصلوة والحج والصوم ونحوه ففيها
صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم قال فابنوا ابدا على ذلك
فبقي المباحات والنوافل اذن في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض
الباب وبالله التوفيق فان قيل هل يامن المفوض الهلاك والفساد
والدار دار محنة فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح
وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك ربما خذله فيقع عن
منزلة التفويض بالاصلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة
التفويض وبه قال الشيخ ابو عمر وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه

صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والقصور عن منزلة التفويض
مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض انما
يقع في ما شك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا
اذ لولا ذلك لما فوتت الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب
ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله
سبحانه فلا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون
الافضل حكمة من فعله الا ترى انه قدر للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه
ان ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم
صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر
للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل ويقدر له
الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان التجرد لعبادة الله عز وجل
افضل فانه هو بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب
الحاذق الناصح يختار للمريض ما الشعير وان كان ما السكر افضل
وانفس لكن لما علم ان صلاح علته في ما الشعير والمقصود
للعبد النجاة لا الفضل والشرف مع الفساد والهلاك فان قيل
هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح عند علمائنا انه يكون
مختارا ولا يقدح في تفويضه ذلك لان المعنى به اذا كان له صلاح

تاسع كراس

78

وينادي بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤوس الملا
ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن يسخط مرة فكيف بمن هو في
السخط على الله عز وجل جميع عمره وهذا لمن شكا اليه فكيف بمن شكى
الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيات اعمالنا ونساله ان
يعفو عنا ويغفر لنا سوء آدابنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين
فان قيل فما معنى الرضا بالقضا وحقيقة ذلك فاعلم ان علماءنا
قالوا الرضا ترك السخط والسخط ذكر غير الذي قضى الله سبحانه بانه
اولى به واصلح فيما لا يستيقن فساده وصلاحه هذا شرط فيه فاعلم
ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي بقضاء الله وقدره فكيف
يرضى العبد بالشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضا وقضاء
الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال
شيوخنا رحمهم الله المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر
فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضا والمقضي وعليه الشكر
من حيث انها نعمة والشدة يجب فيها الرضا بالقاضي والقضا
والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انها شدة والخير يجب فيه الرضا
بالقضا والقاضي والمقضي عليه وعليه ذكر المنة من حيث انه خير
ووفقه له والشر يجب فيه الرضا بالقضا والقاضي والمقضي من حيث

انه يقضي الا من حيث انه شر لكونه مقضيا يرجع الى القضا والقاضي
بالحقيقة وهذا كما انك ترضى بمذهب المخالف ان يكون معلوما لك
لا ان يكون لك مذهبا ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا والمحبة
انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا المذهب فلذلك المقضي
بالشر فان قلت فالراضي هل يكون مستزيدا قيل لك نعم بشرط
الخير والصلاح دون الكل فلا يخرج ذلك عن الرضا بل يدل على
الرضا فهو اولى لان المحب يشتهي ويرضى ذلك ويستزاد منه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه
وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل
على انه غير راض بما قدر الله تعالى له من ذلك فان قلت فلم يذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثنا بشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه
الامور انما تكون بالقلب واما اللسان عبارة عن ذلك فلا يعتبر
بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك **العارض الرابع**
الشدايد والمصايب وانما كفايتها بالصبر فعليك
بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وهو
المقصود منها فان مبنى امر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقات
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شي منها بالحقيقة ومن ذلك ان من

قصد عبادة الله وتجرد لها محقا استقبلته شدايد ومحن ومصايب
من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك كان
هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا تاتي فعل العبادة
الا بقمع الهوى ودحض النفس اذ هي زاجرة عن الخير والرشد ومخالفة
الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها ان العبد اذا
فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط حتى لا يفسد عليه والابقا على
العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها فلابد
من الابتلا بشدايدها ومصايبها وذلك على اقسام المصيبة في
الاهل والقرابات والاخوان الاصحاب بالموت والفقد والفراق
وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض بقال الناس اياه
والطعن فيه والازدراية والغيبة والكذب عليه وفي المال بالذهاب
والزوال ولكل واحد من هذه المصايب انواع وحرقة من نوع غير نوع
الاخر فيحتاج الى الصبر كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ
للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلا واكثر محنة ابدا
ومن كان الى الله اقرب فالمصايب في الدنيا اكثر والبلا عليه اشد
اما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا الانبيا ثم العلما ثم
الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة

ان يستقبله من المحن فاذا لم يصبر عليها ولا لكن يجبن او يلتفت
اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى ما في من ذلك
ولقد اعلمنا الله سبحانه بالتقاء المحن والمصايب وابتلاء الناس جل
ذكره واكده فقال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال تعالى
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وكانه يقول وطنوا
انفسكم على انه لا بد لكم من انواع البلا فان تصبروا فانتم الرجال وعزايمكم
عزايم الرجال فاذن من عزم على عبادة الله تعالى يجب اولا ان
يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة
المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير اهبته واتاه من غير جهته
ولقد ذكر عن الفضيل قال من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل
في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر
فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان
والاخضر الوقايع بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في
الصبر من خير الدنيا والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا معناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا
من الشدايد ومنها الظفر بالاعدا قال تعالى فاصبر ان العاقبة

المالوفة ومنع النفس عن العادة الراسخة بالتوكل المحض على الله
جل اسمه وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله عز وجل من غير
علم بما هو الشر فيها وكف النفس عن السخط او الجزع مع تسارع
النفس اليه واكراهها على الجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها
عن ذلك امر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه بعد شدة وطول يق
مستقيم وله عاقبة محمودة واحوال شريفة مسعودة وما نقول في
الوالد المشفق على الصبي اذا منع ولده الغض من رطبة او تفاحة ياكلها
ومن ارمد او سلمه الى المعلم الغليظ الباس ويحبسه طول النهار عنده
وينصحه ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه اترى منع ذلك من
بخل فيه كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم اترانا بهذا الولد
كيف وهو يكتب له جميع ما في يديه او قصده اتلافه وايذاه ليغضل له
كيف وهو قرة عينه وثمرة فواده لو هبت عليه ريح لتعزى عليه كلا
ولكن المعلم ان صلاحه في ذلك وان هذا التعب القليل يحصل له الخير
الكثير والنفع العظيم وما نقول في الطبيب الناصح المحب اذا منع المريض
الدنف شربة ما وهو ظمآن يتلظى كبده او يسقيه شربة اهليلج
كريهة يجرع عن ذلك نفسه وطبعه اترى ان ذلك معاداة وايذاء
كلا بل نصح واحسان لما علم نفعنا ان في اعطاء شهوته ساعة هلاكه

وعطي راسا وفي منع ذلك شقاوة ونقاوة فتامل ايها الرجل اذا حبس الله تعالى
عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما يريد ويقدر على ايصاله
اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شي فلا عدم ولا عجز
ولا خفا تعالى الله عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين
واعلم العلما واجود الاجودين فتعلم اذن بالحقيقة انه لم يمنعك الا
لصلاح واختيار لك وهو الذي يقول خلق لكم ما في الارض جميعا و
هو الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي لا شي يحسنها الدنيا باسرها
وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه وتعالى يقول اني لاذود اوليائي
عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة
واذا ابتلاك بشدة فاعلم انه يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك
عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلى الله
عليه وسلم لله ارحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت
انه لم يبتليك بهذا المكروه الا لصلاح لكن جهلته انت وهو عليم
بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلا انبيائه واصفيائه الذين هم
اعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم
ويقول اشد الناس بلا الانبيا ثم الشهدا ثم الامثل فالامثل
واذا رايت الله تعالى يحبس عنك الدنيا او يكثر عليك الشدايد

والبلايا فاعلم انك عزيز عنده وانك عنده بمكان فانه يسلك
بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك
من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك منازل الابرار و
الاعزة عنده فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله
تعالى ولي التوفيق **فصل** وفي الجملة اذا علمت يقينا ان الله
تعالى الملي بضمان رزقك الذي لابد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته
فانه القادر على ما يشا كيف يشا وهو البصير بحاجاتك حالا فحالا
ساعة فساعة اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصادق وسكن
قلبك لذلك واضربت عن ذكر العلايق والاسباب وتعليق قلبك
بها اذ العلايق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله تعالى فانه يسر اكلها
وشربها ثم هو الذي يمرها ويهنيها ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها
ويدفع عنك ثقلها وضررها وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها اذا شا
فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتتوكل عليه لا غير ولذلك يترك
التدبير في امورك كلها من تدبير السماء والارض ويريح نفسك عن كل
شي لا يبلغه علمك ويضرك من امر يكون غدا او لا يكون وانه كيف
يكون وتكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت

ولعله يكون الخير فيما لم يخطر ببالك فتكون قد اسبق من تفكرك وتدبيرك وجعلك
الوقت الذي صرفته لغوا بلا فايدة بل خسرانا تندم عليه وتغبن فيه لمكان
شغل القلب وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد

سبقت مقادير الاله وحكمها فارح فوادك من لعل ولو

وقال اخر

فلعل ما تخشاه ليس بكاين ولعل ما ترجوه ليس يكون
سيكون ما هو كاين في وقته واخو الجهالة متعب محزون

وتقول لنفسك في اجلها يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المومنون وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير
لا نهاية لقدرته عليم لا نهاية لكلمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان
بهذه الصفة فحقيق ان يتكل عليه وتفوض الامور كلها اليه فعليك
بالتفويض ولذلك توطن قلبك على ان ما يقضي الله عز وجل لك فهو
الاوفق والاصلح وان لك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس
المقدور كاين لا محالة فلا فايدة في السخط والجزع فيما يصنع الله
تعالى فلا وجه للسخط الست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين
بقضايه والقضا من شان الربوبية وحقها فعليك الرضا وكذلك
اذا اصابتك مصيبة وحلت بك مكروه فتراعي نفسك عند ذلك
وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منه كابة وقلق لاجلها

عند الصدمة الاولى فان الشان هنالك والنفس عند ارتياعها جرت الى
عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد وقعت ولا حيلة لدفعها
وقد دفع الله تعالى ما هو اكثر منها فان انواع البلا في خزاينه كثيرة
وان هذه ستنقضي فلا تبقى وانه سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس
قليلا تجدي لك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازل
ولا فايدة في الجزع والمصيبة في الحقيقة مع العزا والصبر فتشغل
لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل لك عند الله تعالى من الاجر
وتتذكر صبر اولي العزم على المصايب العظام من الانبياء والاولياء
والاعزة على الله تعالى واذا احتبس عنك الدنيا في وقت فتقول
يا نفس هو اعلم بحالك وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم الكلب في خسته
ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده الموحد العارف اساوي عنده
رغيفا ايضا فاعلم بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم
وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبر قليلا ترى العجب من لطف صنعه
اما سمعت القايل

توقع صنع ربك سوف ياتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تياس اذا نابت خطوب فكم في الغيب من عجب عجيب

واخر

اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح فعسر بين يسرين
اذا ذكرته فافرح

فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها واطلب

عليها بالتكرير والتمرير فان ذلك يهون عليك اذا كان لا بد منه
واجتهادك انا اغير طويل وقد دفعت هذه العوارض الاربعة عن
نفسك وكفيت مؤنتها وصرت عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين
الراضين بقضايه الصابرين على بلايه وحصلت لنفسك راحة القلب
والبدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبى وجليل القدر
والمحبة عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدنيا والاخرة ويستقيم
لك طريق العبادة اذ لا عايق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت
هذه العقبة العسيرة والله تعالى المسول ان يمدك وايانا بحسن
توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين

الباب الخامس
في العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث

ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق وتمهد السبيل وارتفعت
العوايق وزالت العوارض ولا يجد لك السير المستقيم الا
باستشعار الخوف والرجا والتزامهما احقهما على احدهما اما الخوف
فانما يجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه النفس
الامارة بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلا تنتهي عن ذلك
الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليس يحي في طبعها حره بهمها

اللوم فلا يمنعها الحيا عن الجفا انما هي كما قال القايل شعر
العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة والنفس يلزمني امرها
ان تقرعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا نحو ما ذكر
عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع
ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضا ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد
حرا من هذه اتكوني جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني ليلا تعجب
بالطاعات فتهلك بل يقمعها بالعيب والذم والنقص من الاسوا
والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لو اخذني انا وعيسى بن مريم اخذنا بما كسبت
هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احد واشار باصبعيه وعن
الحسن انه كان يقول ما يومن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق
عليه باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب
نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة
تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال
غير ما تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد بذكرها للنفس
وتكريرها عليها ليلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق
واما الرجا فانما يلزمك استشعاره لامرين للبعث على الطاعات

وذلك ان الجنة تفتك والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من غاية الخلق في النفس منطبع مشاهدة العواقب الذي يطلب به عن العين غايب وامد الوصول اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حق ولا تهتز الا بامر يقابل كل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجا القوي في رحمة الله تعالى والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجا يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني يهون عليك احتمال الشدايد والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شيء ورغب فيه حق رغبته احتمل مشقته ولم يبال بما يلقى من مونته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال المحنة حتى انه ليجد بتلك المحنة ضروبا من اللذة الا ترى مشتار العسل لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعني بارتقا السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصايف لاجل ما يتذكر اخذ درهمين بالعشي وان الفلاح لا يفكر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقا والكد طول السنة لما يتذكر البيدر اوان الغلة

٨٤

فكيف ذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب عيشها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وساير ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما احتملوا من تعبهم في عبادة اوقاتهم في الدنيا من لذة ونعمة وذلة وبعد او نالهم من ضرر ومشقة ولقد حكي ان اصحاب سفين الثوري كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شا الله تعالى قال سفين كيف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنان الثمان فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينودوا ان ارفعوا روسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها فانشا يقول

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه ... ماذا تحمل من بوس واقتار
تراه يمشي كئيبا خايفا وجلا ... الى المساجد يمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار ... قد حان ان تقلعي من بعد ادبار

قلت واذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج

الى دابة يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما يضرب
بالسوط من جانب ويلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص
مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجية من الوالدين
وخوف من المعلم فلذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة
الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجا شعيرها وقائدها وانها
الصبي العرم يحملها الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب
تخويفها وذكر الجنة والثواب ترجيتها وترغيبها فلذلك
يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يشعر النفس بالامرين
اللذين هما الرجا والخوف والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك
ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد
والترغيب والتهديد وابلغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم
ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه فعليك اذن
بالتزام هذين المعنيين يحصل لك من ادراك العبادة ويسهل
عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت
فما حقيقة الرجا والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف عند علمائنا يرجع
الى اقسام الخواطر واما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا الخوف
رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحو لكن الخشية

يقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراة ولكن يتعلقا
بالامرين فيقال خائف وامن وخوف امن لان الامن الذي يجترى على الله
عز وجل والحقيقة ان الجراة نقصانه ومقدمات الخوف اربع ذكر
الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم
وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله
سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر بعض ضعف نفسك عن
احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله سبحانه وتعالى عليك متى شا وكيف
شاء واما الرجا فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعالى واسترواح
الى سعة رحمة الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد وانما
هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد سمي
ايضا ارادة الخاطر باسم الرجا والمراد من هذا الباب هو الاول
وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده الياس وهو تذكر
فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية
محضة وهذا الرجاء فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن
الياس الا به والا فهو بعد اعتقاد الجملة في فضل الله سبحانه وسعة
رحمته ومقدمات الرجا اربع ذكر سوابق فضله اليك من غير
قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته

حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على
حسب الفعل كان اقل شي واصغر امر والثاني ذكر كثرة نعمه عليك في
امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير
استحقاق او سوال والثالث ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه
وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الروف بعباده المومنين فاذا واظبت
على هذين النوعين من الاذكار افضيا بك الى استشعار الخوف والرجا
بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله **فصل** فعليك
ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحد الرعاية
فانها عقبة دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك ان طرفها بين طريقين
مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق
الرجا والخوف وهو الطريق العدل بين الطريقين الجايرين فان غلب
عليك الرجا فقد فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب الخوف حتى فقدت الرجا
البتة وقعت في طريق الياس ولا يياس من روح الله الا القوم الكافرون
فان كنت ركبت بين الرجا والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق
العدل المستقيم التي هي سبيل اوليا الله سبحانه واصفيايه الذين
وصفهم بقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا

رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة
طرق مهالك طريق الامن والجراة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف والرجا
ممتد بينهما فان ملت عنه بقدم الى يمينك او يسارك وقعت في المهلكين
وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان الطريقين الجايرين المهلكين
اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك
اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله عز وجل وكثرة فضله
وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف فيتملك عند ذلك امن ويامن
وان نظرت من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة الله عز وجل
وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليايه واصفيايه
ما لا يكاد يبقى معه رجا فتياس بمرة وتقنط فتحتاج اذن ان
لا تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة
والمناقشة فقط حتى تقنط وتياس بل تنظر الى هذا والى هذا
جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا
وتسلك ذلك لتسلم فان طريق الرجا المحض سهل واسع وعاقبته
يوديك الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته
يوديك الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجا
وان كان دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج بين يودي الى

بالغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه
ولذا سبح قوله تعالى في ابنا هذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم
قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
فتامل هذه الجملة جدا وشمر وتنبه للامر فانه لا يجي بالهوينا والله الموفق
ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذه الطرق وحمل هذه النفس الجموح
والكسلى على الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات
الثقيلة عليها الا بالتحفظ لثلاثة اصول والتذكر لها على سبيل
الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر اقواله سبحانه وتعالى
في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو
والثالث ذكر جزائه العباد في المعاد من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة وقد جملة صنفنا كتاب
تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على
المقصود ان شاء الله تعالى الاصل الاول في اقواله تعالى نذكر
ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب والترجيه
والتخويف فمن ايات الرجا قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ومن يغفر الذنوب الا الله
غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو

كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين
يتقون ان الله بالناس لرءوف رحيم وكان بالمؤمنين رحيما تغفرونه ونحوه
ايات الرجا ومن ايات الخوف والسياسة باعباده فانفقون افحسبتم
انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فنسال الله تعالى ان يسلمنا
برحمته ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجا قوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي هو
العذاب الاليم لئلا يستولي عليه الرجا بمرة وقوله تعالى شديد العقاب
ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف بمرة واعجب
من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبه والله
رءوف بالعباد واعجب من خشي الرحمن بالغيب وجاء على الخشية
باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون
الخشية مع ذكر الرحمة ولا يكون الخشية تطير قلبك بمرة فيكون
تخويفا في تامين وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة
اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر الامير الكريم والمراد بذلك

ان يكون الطريق بعد او لا بد منه بلا امن ولا قنوط جعلنا الله واياكم
من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم برحمة العاملين على وفقه انه الجواد الكريم
الاصل الباني في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فان لا
عبده ابليس ما تي الف سنة فلم يترك موضع قدم الا وسجد لله تعالى
فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه
بعد ما تي الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا عظيما
ابد الابدين حتى روى ان الصادق الامين صلى الله عليه وسلم راى
جبريل متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل
جسمي ثم ادم صفيه الذي خلقه بيده واسجد له ملايكته وحمله على
اعناقهم الى جوار انبسط فاكل اكلة واحدة لم يوذن له فيها فنودي
الا لا يجاورني من عصاني وامر الملايكة الذين حملوا سريره بان يخرجونه
من سماء الى سماء حتى بكى على ذلك ما تي سنة ولحقه من البلا والهوان
ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك على الابد ثم ان نوحا شيخ
المرسلين صلوات الله عليهم الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم
يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي فلا تسالن ما ليس لك
به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض
الاخبار انه لم يرفع راسه الى السماء حيا من الله عز وجل اربعين سنة

ثم ان ابرهيم الخليل صلوات الله عليه لم يكن منه الا هفوة واحدة فلم خاف
وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين حتى روي
انه كان يبكي من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه الامين جبريل
عليه السلم فيقول يا ابرهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول
يا جبريل اذا ذكرت خطيتي نسيت خلته وموسى بن عمران عليه السلم
لم يكن منه الا لطمة واحدة عن حدة فلم خاف واستغفر وقال رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث اذا نظر
يرى العرش وهو المعني بقوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فلم
لم يكن منه واحدة الا ميله الى الدنيا ميلة واحدة وترك لولي من اولياء الله
تعالى حرمة واحدة سلب معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود
فقال تعالى فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى الابد
حتى سمعت بعض العلماء يقول انه كان في اول امره بحيث يكون في
مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث
اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع وذكر فيه ما استحق به اللعن
نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وقطيع خذلانه الذي
لا طاقة لنا به فانظر خبث الدنيا وشومها ماذا تطلب للعلماء خاصة
فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير

فان ختم بالخير اعلانا وان بالشر لشانا فاذا ذلك علمه بعض بهم ان داود
عليه السلم خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب
في الارض من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود
نسيت ذنبك وذكرت بكاك فلم تقبل توبته اربعين يوما وتبيان
اربعين سنة ثم يونس عليه السلم غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه
في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادي ان لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين وسمعت الملايكة صوته فقالوا الهنا
وسيدنا صوت معروف من موضع مجهول فقال تعالى ذلك عبدي
يونس فشفعت فيه الملايكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا
انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته
ومنته فقال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى
سيد المرسلين الكريم خلقه عليه بقوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك
ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان عليه السلم يقول شيبتني سورة هود
واخواتها فقيل عني هذه الآية واشكالها في القران وقال تعالى واستغفر
لذنبك الى من عليه بالغفران وقال ووضعنا عنك وزرك الذي

انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو اني
وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احد من
العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك
وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما
اثنيت على نفسك ثم الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير قرن في خير
امة كان يبدو منهم شي من المزاح فنزل قوله تعالى الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة
الحدود والسياسات العظيمة حتى كان يونس بن عبيد يقول
لا تامن من قطع في خمسة دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه هكذا
غدا فنسال الله تعالى الكريم الرحيم ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه
ارحم الراحمين واما جانب الرجا فحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة
ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يحسن وصفها فانه الذي يهب
كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى امر سحرة فرعون الذين
جاؤا الحربه وحلفوا بعزة عدوه لما قالوا انا امنا عن صدق القلوب
كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم روس الشهداء

في الجنة ابد الآبدين فهذا من عرفه ووحده ساعة بعد ساعة بعد ذلك
الكفر والضلال والفساد فكيف كان من افنى في توحيده عمره الا ترى لذلك
املأ في الدارين عمره اما ترى اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر
طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض والتجاوا اليه
كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال تعالى ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والخشية حتى
يقول لاكرم الخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا بل كيف
اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله في الدنيا
محجوبا ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله مع كلب خطا
خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة من عمر عباده
او خدمه فكيف مع عبده المومن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين
سنة ولو عاش سبعين الف سنة كان قاصدا للمعبود به اما سمعت
كيف عاتب ابرهيم عليه السلام في دعايه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب
موسى عليه السلام في امر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي
لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس عليه السلام في ...
قومه بانك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة وايبستها في ساعة
ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف عاتب سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم فيما روى انه دخل من باب بني شيبة فرأى قوما يضحكون
فقال لم تضحكون لا اراكم حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى
وقال اتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله عز وجل يقول تقنط عباد
من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر
المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة فواحدة منها
قسمها بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وذخر
تسعة وتسعين لنفسه ليرحم بها يوم القيمة عباده واذ قد اعطانا
من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا ... الى من معرفته
سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى
ساير ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من كرمه وفضله
العظيم ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل من
تسع وتسعين رحمة لنا الحظ الاوفر نسأل الله تعالى ان لا يخيب
امالنا في فضله العظيم بفضله انه السيد الكريم الجواد الرحيم
واما الاصل الثالث في ذكر ما وعد واوعد في المعاد فلنذكر
في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما
في كل مقام منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين

الخمسة

واما الموت فما ذكر فيه حال رجلين احدهما ما روى عن ابن شبرمة
انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به وهو يلقن رجل
يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال ان
تلقنني او لم تلقنني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق
بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجى صاحبنا والاخر
ما حكي ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل
وجلس عند راسه وقرا سورة يس فقال يا استاذ لا تقرا هذه فسكت
ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله قال لا اقولها لاني بريء منها ومات
على ذلك فدخل الفضيل [illegible] فجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج
من البيت ثم راه في النوم وهو يسحب الى جهنم فقال باي شيء نزع الله
المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتي فقال بثلاثة اشيا اولها النميمة
فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي
والثالث علة بي فجئت الى طبيب فسالته عنها فقال تشرب في كل
سنة قدحا من خمر فان لم تفعل يبقى لك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله
من سخط الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما ما
حكي عن عبد الله بن المبارك انه لما احتضر نظر الى السما فضحك وقال
لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين يحكي عن الاستاذ

ابي بكر ابن فورك انه كان صاحب ايام التعليم وكان مستوفيا كثير جهده
في التعليم نفيسا متعبا او كان لا جهد له مع الاجتهاد الا الطلاب
وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه من الاولياء في الرباط ولم يخرج
من البيت للمرض وكان يجتهد مع مرضه فاشتدت به الحال وانا جانبه
فبينا هو اذ شخص ببصره الى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا
فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الاخر فهو ما روي
عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك
جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود عليهما فسال اهله فقالوا
له مكيلان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما
بالاخر حتى كسرتهما ثم سالت الرجل فقال ما يزداد الامر الا عظما علي
واما القبر وما كان بعد الموت فما ذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر
عن بعض الصالحين قال رايت سفين الثوري في النوم بعد موته فقلت
كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت
كيف حالك يا سفين فانشا يقول
نظرت الى ربي كفاحا فقال لي   هنيئا رضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا   بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته   وزرني فاني عنك غير بعيد

والوجه الثاني ما روي ان بعضهم رئي في المنام شاحب اللون مغلولة
يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشا يقول
تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب ۝ ووجه الخوف
احدها ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد ولم
اره في المنام الى ليلة توفي عمر بن عبد العزيز اذ تراءى لي تلك الليلة
فقلت يا بني الم تكن ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله
ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء الا يبقى نبي ولا صديق
ولا شهيد الا حضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلوة
ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الثالث فما روي عن هشام بن حسان انه
قال مات لي ابن حدث فرايته في النوم فاذا هو اشيب فقلت يا بني
ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة
لم يبق احد الا شاب منه نعوذ بالله الرحيم من العذاب الاليم واما
القيمة فما اعلمه الا الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره واذا البراق على راس
القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم والحلي من
غير مشي الى الجنة برجله وواحد يخرج من قبره فاذا الزبانية والانكال
والحاوين الشقي يمشي الى النار برجله بل يسحب الى سواء الجحيم بوجهه

نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم ثم تنبت
لهم اجنحة خضر فيطيرون بها في عرصات القيمة حتى اتوا على
حيطان الجنة فاذا راتهم الملايكة قال بعضهم لبعض من هولاء
فيقولون لا ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون من انتم
ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلى الله عليه فيقول الملايكة
هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل قراتم كتبكم فيقولون لا فيقول
الملايكة ارجعوا كل ذلك وراءكم فيقولون هل اعطيتمونا شيا فنحاسب
عليه وفي خبر اخر ما ملكنا فنعدل ولا نجور ولكن عبدنا ربنا فدعانا فاجبناه
فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم
القيمة اعظم برجل يشاهد تلك الاهوال والزلازل والوقايع وهو
امن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسال الله تعالى ان يجعلنا
واياكم من اوليك السعدا وما ذلك على الله بعزيز واما
الجنة والنار فما من بينها ايتين من كتاب الله تعالى احدهما قوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا والاخرى حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا

فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وروي انهم يصبرون عند
ذلك كذا بايتعاودون في النار نعوذ بالله الرؤوف الرحيم من عذابه الاليم
فان الامر كما قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه لا ندري اي المصيبتين اعظم
فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها واما النار
فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاساة الجحيم ثم الطامة
الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان على حال منقطعا لكان
الامر هينا ولكن الشان في ابد بلا اخر فاي قلب يحتمل ذلك واي
نفس تصبر على ذلك ولذلك كان عيسى صلوات الله عليه وسلامه ذكر الخالدين
تنقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن ان اخر من يخرج من النار
رجل يقال له هناد يعذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى
الحسن وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما ما يخرج
فلتن فرجع الامر كله اذن الى الاصل وهي النكتة التي تقصم الظهور
وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي العيون من
العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي اليها خوف
الخائفين وبكى عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلاثة
غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب
وقال المحصلون بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة وكل

غم دونه اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط انه قال دخلت
على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فقال الذنوب
اهون على الله من هذا وانا اخشى ان يسلبني الله الاسلام نسال
الله ربنا المنان ان لا يبتلينا بمصيبة وان يتم علينا كثير نعمه وان
يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء
الخاتمة ومعناه في كتاب احياء علوم الدين فتامل هناك فان الخوض
فيه هاهنا خروج الى الاكثار وهذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان
يأتي عليه الوهم والذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه فان قلت
فاي الطريقين اسلك طريق الخوف او طريق الرجا فيقال لك بل المركب
بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجا صار مرجيا بل ربما يخاف عليه
ان يصير خرميا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد ان
لا تنفرد باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة الرجا الحقيقي لا ينفك
عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجا ولذلك قيل
الرجا كله لاهل الخوف الا الغر والخوف كله لاهل الرجا الا اليائسين
فان قلت فهل يكون احدهما ارجح واكثر ذكرا بحال فاعلم ان العبد
اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى واذا مرض وضعف لا سيما اذا
اشرف على الاخرة فالرجا اولى ولذلك سمعت العلماء يقولون قلت

وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي
فتصير رجاوه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم من
زمان الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا
فان قلت اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى
والترغيب في ذلك فاعلم ان من حسن الظن بالله الحذر عن معصيته
والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم ان هاهنا اصلا
اصيلا ونكتة غفل عنها وغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق بين
الرجا والامنية ان الرجا يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله
من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي ماية قفيز
فذلك منه رجا واخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام و
اغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي ماية قفيز
فيقال له من اين لك هذا الرجا وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك
العبد اذا اجتهد في عبادة الله تعالى والانتها عن معصية الله تعالى
فقال ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب
ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجا واما اذا غفل ذلك
وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده
ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية

بلا اصل تحتها سماها رجا وحسن ظن وذلك خطا وضلال والذي
يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من يتبع نفسه هواها وتمنى
على الله عز وجل وفي ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول انى
لحسن الظن بربي وكذب لانه لو احسن الظن بربه لاحسن العمل
له ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم
من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد
بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة
فغضب وقال هل رايت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من
المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاوليا
مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فايش يقول
ما كان لهم حسن الظن بالله تعالى بلى فانهم كانوا عارفين بسعة
رحمة الله عز وجل واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون
الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل وانتبه من رقدتك
والله تعالى ولي التوفيق **فصل** وجملة الامر انك اذا انت ذكرت
سعة رحمة الله عز وجل التي سبقت غضبه ووسعت كل شي ثم انت

من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى غاية فضله العظيم
وكمال جوده القديم ويجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم
ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك ظاهره وباطنه من غير شفيع او قدم
سابقة لك في يد ذلك ثم من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه
وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا تقوم له السموات والارض ثم
غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته
في احاطة علمه وبصره بالعلوم والغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي
لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا يحتمل
ذكره القلوب تارة ينظر الى فضله وتارة ينظر الى عذابه وتارة ينظر
الى رحمته ورافته وطورا ينظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها
بادي بكل جميع ذلك الا الخوف والرجا وكنت قد سلكت السبيل الشارع
القصد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والياس ولا تتيه فيها
مع التايهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج العدل
فلا تهلك ببرده الرجا ولا بحرارة الخوف الصرف وكانك بك وقد
وصلت الى المقصود غانما وسلمت من العليين سالما وقد وجدت
النفس وقد اسعت الطاعة ودابت في الخدمة ليلا ونهارا من غير
فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي وهجرتها عزما كما قال

نوم ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه
وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين وصفهم الله
تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة باذن الله
تعالى وحسن توفيقه فلم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك
من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى فالله سبحانه مسؤول ان يمدك
واياي بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السادس
في العقبة السادسة وهي عقبة القوادح

ثم عليك يا اخي ايدك الله واياي بحسن توفيقه بعدما استبان
لك السبيل واستقام لك المشي بتمييز سعيك وصيانته عما يفسده
ويضيعه عليك واياي ذلك باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتنا
عن ضده لامرين احدهما لما في فعله من الفايدة وهو حسن القبول ب
من الله تعالى ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا اذا ما ذهب
الثواب كلا او بعضا على ما روي في الحديث المشهور عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك

من عمل عملا اشرك فيه غيري فنصيبي له فاني لا اقبل الا
ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة
اذا التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم تكن الموسع في الدنيا
الم نرخص بيعك وشراوك الم نكرمك هذا واشباهه من الخطر والضرر
قلت من خطر الريا فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحدهما
فضيحة السر وهي اللوم على روس الملائكة وذلك ما روي ان
الملائكة يصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى
سجين فانه لم يردني به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية
فضيحة العلانية وهي يوم القيامة على روس الخلايق روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراي يوم القيامة ينادي باربعة
اسما يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك
ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروي
انه ينادي مناد يوم القيمة يسمع الخلايق اين الذين كانوا يعبدون
الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شي
واما المصيبتان فاحدهما فوت الجنة وذلك ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل
ومراء والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل من يبخل

باحسن قول وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المراي
من يراي باسح ربا وهو المنافق الذي يراي بايمانه وتوحيده وفي
هذا القول توجيه والثاني ان من لم ينبه عن البخل والريا ولم يراع
نفسه ففيه خطران يلحقه شوم ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنة
راسا والعياذ بالله والمصيبة الثانية دخول النار وذلك ما روي
ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من
يدعى يوم القيمة رجل جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله ورجل
كثير المال فيقول الله تعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي
فيقول بلى يا رب فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به
انا الليل والنهار فيقول الله عز وجل كذبت ويقول الملائكة كذ بت
ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قاري فقد قيل ذلك
فيوتى بصاحب المال فيقول الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج
الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما اتيتك قال كنت اصل
الرحم واتصدق قال الله تعالى كذبت ويقول الملائكة بل اردت
ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويوتى بالذي قتل في سبيل الله
فيقول ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت
فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان

جرعة فيه قبل ذلك ثم ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ركبتي وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله تسعر بهم نار جهنم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء قيل يا رسول الله و
كيف يعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه
الفضايح بلاغ لأولي الأبصار والله تعالى ولي الهداية بفضله
فإن قيل فأخبرنا عن حقيقة الإخلاص والرياء وحكمهما وتأثيرهما
في العمل فلنعلم أن الإخلاص عند علمائنا إخلاصان إخلاص العمل
وإخلاص طلب الأجر فأما إخلاص العمل فهو إرادة التقرب إلى الله سبحانه
وتعالى وتعظيم أمره وإجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح
وضد هذا الإخلاص النفاق وهو التقرب إلى من دون الله تعالى وقال
شيخنا النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله
عز وجل وليس هو من قبيل الإرادات لعلة ذكرناها في موضعها
وأما الإخلاص في طلب الأجر فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير
وكان شيخنا يقول إنه إرادة نفع الآخرة بذكر ما تعد ذخيرة
بحيث يرجى به نيل المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال
الحواريون لعيسى بن مريم عليهما السلام ما الخالص من الأعمال قال الذي

يعمله لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا تعرض لترك الرياء وإنما
خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص وقال الجنيد الإخلاص
تصفية الأعمال من الكدورات وقال الفضيل الإخلاص دوام
المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف
الحقيقة وقد قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن الإخلاص
فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك
ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذه إشارة إلى
قطع ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا وضد
الإخلاص الرياء وهو إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة ثم الرياء
ضربان رياء محض ورياء تخليط والمحض أن يريد به نفع الدنيا لا غير
والتخليط أن يريد به جميعا نفع الدنيا ونفع الآخرة وهذا حدهما
وأما تأثيرهما فإن إخلاص العمل أن يجعل الفعل قربة وإخلاص
طلب الأجر أن يجعله مقبولا وافر الأجر جميعا نفع الدنيا ونفع
الآخرة والتعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا
عليها الثواب بالوعد من الله عز وجل فإن الرياء المحض لا يكون في المعاد
عند بعض العلماء وإن كان أبطل نصف الثواب وعند آخرين قد يكون

الرياء المحض من المعارف فانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب
بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا ان الريا المحض لا يكون من العارف
مع تذكر الفرع ويكون مع السهو والمخاوان من تاثير الريا دفع
القبول والنقصان في الثواب وان لا تقدير له بنصف او ربع وشرح
هذه المسايل يطول وقد شرحنا في كتاب العيا شرحا مستقصى
واشبعنا القول في اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع
الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض
العلما ثلاثة قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات
الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شي منهما وهو العبادات
الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل وهو المباحات الماخوذة للعدة وقال شيخنا ان كل عمل
يحتمل الصرف الى غير الله تعالى من العبادات الاصلية يقع فيها
اخلاص العمل فاما اخلاص طلب الاجر فان مشايخ الكرامية لا يقع
في العبادات الباطنة ولا يطلع عليها احد غير الله سبحانه وتعالى
فامتنع فيها دواعي الريا فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا
يقول اذا اراد من الله تعالى بالعبادات الباطنة الدنيا فهو ايضا
ربما قلت انا فلا يبعد اذن ان يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان

ولذلك النوافل يجب فيه الاخلاصان جميعا عند الشيوخ واما
المباحات الماخوذة للعدة يقع اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل الذي لا يصلح ان يكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة
فان قلت فهذا موضعها فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان اخلاص
العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب
الاجر ربما يتاخر عنه وعند بعض العلما يعتبر فيه وقت الفراغ من
العمل فاذا فرغ على الاخلاص او ريا فقد انقضى العمر ولا يمكنه استدراكه له
بعد وعند عبدان من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالريا
يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات
وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت
واما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان الله تعالى
ادخل العبد في الفريضة فهو مواسيه بالفضل والتيسير فيه واما النفل
فالعبد الذي ادخل فيه نفسه وتكلف فطولب بحق ما تكلف قلت
وفي هذه المسئلة فايدة وهي ان من سبق منه الريا او ترك الاخلاص
في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا
والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقايق علمنا الان
بقلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذا الطريق والتقرب الى المسلك

في العبادة فان لم يجد لعلته دوا في هذا القول وجد في الاخرة
لاخلاصها الاعراض وعلل الاعمال وافاتها فافهم راشدا ان شا الله
فان قلت اكل عمل يحتاج الى الاخلاص مفردة فاعلم انه قد اختلف
في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجزي في ول
اخلاص جملة من العبادات اما العمل ذو الاركان كالصلوة والوضو
يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا
فصارت كشي واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير من الله تعالى
والاخرة من الناس شيا من مدحه او سمعة او منفعة ايكون ذلك
ريا فاعلم ان ذلك محض الريا فان علمنا الاعتبار في الريا بالمراد
لا بالذي يريد منه فان كان مراده من عمل الخير نفعا دنيويا فانه
ريا سوا اراد به من الله تعالى او من الناس قال الله تعالى ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وليس الاعتبار
بلفظ الريا واشتقاقه من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة
الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع يكون من قبل الناس ورؤيتهم
فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا التي يريدها من الله
تعالى التعفف عن الناس والعدة على عبادة الله تعالى ايكون ريا
فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والجاه انما هو القناعة والثقة

بكفاية الله سبحانه واما العدة على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك
فلا يكون ريا وكذلك ما يتصل بامر الاخرة واسبابها ويصير لطفا
لذلك فان اريد بعمل الخير هذا النوع لا يكون بتلك الارادة ريا
لان هذه الامور تصير بتلك النية خيرا او تصير في حكم اعمال الاخرة
ولا يكون ارادة الخير ريا وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم
عند الناس او محبة عند المشايخ والائمة يكون قصدك من ذلك
التمكن من تاييد مذهب الحق او الرد على اهل البدع والنشر للعلم
او حض الناس على العبادة ونحو ذلك دون قصد تلك شرف
النفس من حيث هي او دنيا بنيا لها فان هذه كلها ارادات
سديدة ونيات محمودة لا يدخل شي منها في باب الريا اذا المقصود
منها امر الاخرة بالحقيقة واعلم اني سالت بعض مشايخنا عما
يعتاد اولياونا من قراة سورة الواقعة في ايام العسرة اليس
المراد بذلك ان يدفع تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شي من الدنيا
على ما جرت العادة فكيف يصح متاع الدنيا بعمل الاخرة فقال
في جوابه كلا بل معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة
او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة على درس العلم وهذه
من جملة ارادات الخير دون الدنيا واعلم ان معنى البر اعني

اراده

قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء
ورد به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم
حتى كان ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في امر ولده اذ لم يترك
لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة وعن ذلك الاصل جرى
هذه الخصلة في شيوخ علمائنا والا فلا مبالاة رحمهم الله تعالى بشدة
في امر الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها
ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى نعمة عظيمة
ويخافون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس
الا للضيق والشدة استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف
وبطانتهم الاقتصار والطي في عموم الاحوال وكثير منهم يقولون
الجوع راس مالنا فهذا وضع اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب
اشياخي وبذلك جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتاخرين
فلا معتبر به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يعترض فيهم مخالف
جاهلا منه بمقاصد القوم في امورهم او يغلط فيهم مبتدئ سليم
القلب لا ياخذ من العلم حظه بانه كيف يليق هذا بحال اهل الزهد
والتجرد وارباب الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء ماخوذ
من السنة ثم المقصود حصول الفراغة والعدة لا اتباع الشره

والشهوة او الضعف عن احتمال العدة والشدة والكرم ما يرى في
عقب ذلك فتنة في القلب وبفقد كلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام
ونهمته علم ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى
القادح الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين احدهما انه
يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع
عن العبد التأييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح يا معشر
الحواريين كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسده
العجب واذا كان المقصود والفائدة العبادة وهذه الخصلة
تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان حصل قليل من ذلك يفسده حتى
لا يبقى بيده شيء فحقيق ان يحذر من ذلك ويتحفظ والله عز وجل
ولي التوفيق والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب ومعناه وما
ثمرته وعمله فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل
الصالح وتفصيله عند علمائنا ذكر العبد حصول شرف العمل
الصالح لشيء دون الله عز وجل او الناس او النفس قالوا وقد يكون
العجب مثلا بان يذكر ذلك من هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق

والسنى ومثنى بان يذكر من اثنين وموحدا بان يذكر من واحد وضد
العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله وانه الذي يسر وعظم
ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعي العجب نظيره في باب الريا
واما تاثير العجب في العمل قال بعض اصحابنا يشترط بالاحباط فان
تاب قبل موته سلم والاحبط واليه ذهب محمد بن صابر سبوح الكرامي
والاحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق
بذلك ثوابا ولا مدحا البتة وفي قول غيره هو ذهاب الاضعاف
لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله تعالى هو
الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه بفضله ومنه
فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو ان الناس في العجب
ثلاثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية
الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في افعالهم وينكرون العون
والتوفيق الخاص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف
هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال
وذلك لبصيرة اكرموا بها وتاييد خصوا به والثالث المخلطون
وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة
يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد

والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة
في افعالهم فاعلم ان في ذلك اختلافات فقيل انها محبطة لمكان
اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد جملة من فرق الاسلام حتى
يحبط كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب
في كل عمل حتى يلزمه يذكر منته فان قيل فهل سوى العجب والريا
من قادح في العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا
خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم الباب
وقال بعض المشايخ ان حق العبد ان يحفظ في العمل من عشرة
اشياء النفاق والريا والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب
والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيخنا ضد كل
خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد
التخليط التفريط وضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى
تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب ذكر
المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق
وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل والريا
يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند
بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة فانها تحبط العمل

في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف العمل واجره والتهاون يخفف العمل
فيذهب بزيادته قلت فالقبول والرد عند اهل التحقيق يرجعان الى
ضروب من التعظيم والاستخفاف والحباط ابطال منافع يكون الفعل
وبسببه ثم تارة يكون ابطال الثواب واخرى ابطال التضعيف والثواب
منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقرائنه واحواله والتضعيف زيادة على
هذا والزيادة زيادة تحصيل يقتضي قرائن واحوال اخر كالاحسان الى
احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء ففي الشيء يكون
زيادة ولا يكون تضعيف فهذا تهذيب ما تحققت في هذه المعاني فافهم
ذلك وبالله التوفيق **فصل** فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة
ذات المقاطع والمتالف في غاية التحرز فان صاحب بضاعة الطاعات
قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة
من العبادة عن نهمة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا في هذه العقبة
فان فيها مقاطع يحذر ان يسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر ان يبدو
منها افات تفسد عليه طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان
المقطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر في كل واحد اصولا مقنعة
نجردها لك لعلك يكفي مؤنتها باذن الله تعالى اما الرياء فاذكر اولا
قول الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل

الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان الله تعالى يقول اني
خلقت السموات والارض وما بينهما وفي كل بين الصنائع والبدائع و
لكيف تنظر لتعلم اني قادر عليم وانت تصلي ركعتين مع ما فيها
من المعائب والتقصير فلا تكتفي بنظري اليك وتعلمي وثنائي عليك وشكري
لك حتى يجب ان يعلم الخلق لتهم حول بيتك ليكون لك ذكر وافيا ويكون
ذلك عقلا يرضاه احد لنفسه وهل كان الا يعقل **الاصل الثاني**
ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ في ثمنه الف الف دينار فباعه
بفلس البين ذلك يكون خسرانا عظيما وعيبا فظيعا ودليلا بينا
على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراي ورقة العقل وما يناله العبد
بعمله من الخلق من مدحهم وحطام في الاضافة الى رضا رب العالمين وكرمه
وثنائه وثوابه لا اقل من فلس في جنب الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها
واكثر الا يكون من الخسران المبين ان يفوت نفسك تلك الكرامات
العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد لك
من هذه الخسيسة فاقصد انت الاخرة يتبعك الدنيا بل اطلب الرب
وحده يعطك الدارين ادنهما واكثرهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا فاذا

ان اخلصت النية وجردت الهمة للآخرة حصلت لك الآخرة والدنيا
جميعا وان آثرت الدنيا ذهبت عنك الآخرة في الوقت وربما لا تنال
الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فيكون قد خسرت الدنيا والآخرة
فتأمل ايها العاقل الاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله تعمل
ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لابغضك ولسخط عليك
واستهانك واستحقرك فكيف يعمل العاقل لاجل من لو علم انه يطلب
رضاه لسخط عليه واهانه فاعلم يا مسكين ان اجل عز اذا عملت لاجله
وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك واعطاك
حتى ارضاك واغناك عن الكل فكفاك فهذه منة فانظر لها ان كنت
تعقل الاصل الرابع ان من حصل له سعي يمكن ان يكتسب به اعظم
ملك في الدنيا لو انه يطلب به رضا كناس خسيس بين الناس فيكون
ذلك دليلا على السفه ورداءة الراي منه وسوء الحظ له ويقال له ما احتجت
الى رضا هذا الكناس مع امكانك من رضا الملك فكيف وقد سخط
الكناس عليك بسبب سخط الملك ففاتك الكل فهذا حال المرائي
فاي حاجة لك الى رضا مخلوق حقير ضعيف مهين وتمكن من تحصيل
رضوان رب العالمين الكافي عن الكل فان ضعف الهمة وكلت البصيرة
حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد ارادتك وتخلص

سعيك لله فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب
ويجمع لك النفوس وتشحن من حبك الصدور ورفعنا الى ذلك
ما لا يناله جهدك وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضا المخلو
ق دون الله فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط
عليك الخلق فيحصل لك بهذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا
فيا له من خسران وحرمان ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان رجل
يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل المسجد
واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلاة الا قائما يصلي و
صائما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فبقي كذلك تسعة اشهر
فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على
نفسه وقال اراني في غير شيء لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على
عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان
بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الان قد اقبل الى
الخير ثم قرأ الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا فاذا احبتهم وحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل
يا مبتغي الحمد والثناء على سعي المحال
قد خيب الله ذا ريا وابطل السعي والكلال

من كان يرجو القارب اخلص من خوفه الفعالا
الخلد والنار في بدنه فانه يعطيك الشوء الا
والناس لا يملكون شيئا فكيف رايتهم ضلالا
واما العجب فلنذكر فيه اصولا احدها ان فعل العبد انما صار له
قيمة لما وقع من الله عز وجل موقع الرضا والقبول الا ترى الاجير
يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين
وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل والنهار
يكون قيمته ذلك دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله عز وجل
فقيمته لله تعالى يوما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الصابرين
وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال
التعب العظيم صارت له هذه القيمة بتاخير غداك الى عشا
ولو قمت ليلة فقال الله تعالى فلا يعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته درهمان او دانقان صارت
له كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله تعالى ساعة تصلي فيها
ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال الله تعالى ومن يعمل
من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون

فيها بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك التي لا قيمة لها عند
اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك بلا فايدة
صار لها كل هذا القدر لما انه وقع مرضيا لله تعالى فعظم قدرها
وكثرت قيمتها بفضله فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة
مقداره من حيث هو وان لا يرى الا من الله تعالى منه فما شرف من
قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر في فعله من ان يقع على
وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع باب الرضا فيذهب عنه القيمة
التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل من الثمن الحقير من
دراهم او دوانيق واحقر واخس من ذلك مثاله ان العنقود
من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق دانقا
وان اهدي واخذ الى ملك دسيجه فوقعت منه موضع الرضا فيهب له
على ذلك الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضا فصار ما قيمته حبة
بالف دينار فاذا لم يرض الملك ورد عليه رجع الى قيمته الخسيسة
من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه وابصر من الله وصن
فعلك عما يشينه عند الله عز وجل والثاني ما تعلم ان الملك في الدنيا
اذا اجرى على احد جراية من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة
فانه يستخدمه بضروب الخدم اناء الليل والنهار مع ما في ذلك

من الناس والصعاليك يقوم على راسه حتى يحفو رجلاه ويسقي بين
يديه اذا امكنه في زمانه يحتاج ان يكون على بابه طول الليل جار شاورها
يبدو له غدا فيحتاج ان يقاتل عدوه ويبذل روحه الى الاخلاف
عنها لاجل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة
النكدة الحقيرة مع انها بالحقيقة من الله عز وجل وانما هو بمنزلة سبب في
ذلك فربك الذي خلقك ولم تك شيا ثم رباك واحسن لك تربيته
ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك ودنياك
ما لا يبلغ كنهه فهمك ووهمك قال عز وجل وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيها من المعايب
والافات ومع ما وجد عليها في المستقبل من حسن الثواب
وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب فليس هذا من شان
عاقل اذا نظرت فهذه هذه الاصل الثاني ان الملك الذي من شانه
ان تخدمه الملوك والامرا ويقوم على راسه السادات والا[illegible] وتتولى
خدمته الالبا والحكما وتطلب حضرته العقلا والعلما ويستوي بين يديه
الاكابر والروسا اذا اذن لشوقي بمقتضى رافة وعناية الى بابه
حتى زاحم اوليك الملوك والسادات والاكابر والافاضل في خدمته
ومدحته ويجعل له مقاما من حضرته معلوما وينظر الى خدمته بعين

الرضا وان كانت مشوبة معيبة اليس يقال لقد كثرت على هذا الحقير
المهين الملك وعظمت عنايته به فان احد هذا الحقير لو تيه على الملك
بتلك الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويتعجب به الا يقال انه لسفيه
جدا او مجنون لا يعقل شيا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه
هو الملك الذي يسبح السموات السبع والارض ومن فيهن وان
من شي الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في السموات والار ض
طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبريل الامين وميكايل واسرافيل
وعزرايل في حملة العرش والكروبيون والروحانيون وساير
الملايكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين في
منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من
الذين خدمه على بابه آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد خير
العالمين مع ساير الانبيا والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين
في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة ومقاماتهم الكريمة
وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلما والايمة الابرار والزهاد
في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم
الكبيرة الخالصة المتطاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا و
جبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين يعفرون الوجوه

في التراب خاضعين يرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين ويعترفون
له بالعبودية والنقص ساجدين صاغرين حتى ربما بسط اليهم
نظره ويقضي لهم بفضله حاجة او يتجاوز عنهم بكرمه وانت مع هذه
العظمة والجلال والملك والكمال قد اذن لك في حقارتك في [illegible]
وانت الذي لو استاذنت على رئيس بلدك فربما لا ياذن لك
وان علمت امير ناحيتك فربما لا يكلمك وان شهدت لسلطان بلاد
الارض فربما لا يلتفت اليك اذن لك جل جلاله حتى يعمك ويثني
عليه وتخاطبه بل يدلك عليها بالمسالة وتباسط فتستقضي حاجاتك
وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى بركعتيك في معايبها بل يعد من
الثواب عليها ما لا خطر بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين
الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله عليك في
ذلك فما اسوا من رجل وما اجهلك من انسان والله المستعان
واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه

فصل وعلى وجه اخر الملك العظيم اذا اذن لادخال الهدايا
اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والروسا والاغنيا بانواع
الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة
فان جاء بقال له ساعة بقل او قروي بسلة عنب يساوي دانقا

او حبة فيدخل في حضرته وراح اولئك الاغنياء والا كان من
هداياهم الكثيرة النفيسة وهذا الملك يعلم من الفقير هديته
وينظر اليها بنظر القبول والرضا ويامر له بانفس خلعه وكرامه
لا يكون ذلك منه الا غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير
يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك
الا قال ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيء الادب
عظيم الجهل فالمرائي اذا قمت ليلة وصليت ركعات فاذا
فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدم في
اقطار الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف
المتقين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهد بن
والمتضرعين ولم حضر في هذه الساعة بباب الله تعالى
من عباده صافية وخدمة خالصة عن النفس خاشعة والسن
طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية واركان
نقية و[illegible] فلو انك ان كنت بذلت المجهود في تحسينها واحكامها
واخلاصها فلا يكاد يصلح لحضرة هذا الملك العظيم ولا يليق في
جنب تلك العبادات التي تعرض هناك كيف وقد كانت منك
عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب في بدن نجس باقذار الذنوب

وانت ملطخ بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح هذا العمل
الا لتلك الحضرة وكيف يساهل ان يهدى الى رب العزة فاما
سمعنا ان طوابنا العاقل هل وجدت قط صلوة من صلواتك الى
السما كايدة بعثتها الى بيوت الاغنياء وكان ابو بكر الوراق
يقول ما فرغت من صلوة الا استحييت حين فرغت منها اشد
حيا من امراة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه
وفضله عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليها من جزيل
الثواب ما وعد وانت عبده في جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه
وتيسيره ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله عز وجل عليك هذا
والله اعجب العجب لا يكاد يذهب مثله الا على جاهل لا فكرة له وغافل
لا ذهن له او قلب ميت خاو لا خير فيه فهذه هذه نسال الله تعالى
الكفاية بمنه وفضله **فصل** ثم اقول بعد هذه الجملة سقط
من رفقتنا ايها الرجل في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين
فان هذه العقبة اشد واشق وامر واضر عقبة استقبلتك
في هذه الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى في العقبات فان
سلمت غنمت ونجحت وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب
الامل وبطل العمر ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه العقبة ههنا

ثلاثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغمز شديد والخطر عظيم
ولما دقق الامر فان مجارى الريا والعجب في الاعمال دقيقة خفية
بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين بصير
يقظان القلب متحرز وانى يطلع عليها اهل اللعب والغافل النوم
ولقد سمعت بعض علمائنا بنيسابور يحكي ان عطا السلمي نسج ثوبا
فاحكمه واحسنه جدا ثم حمله الى السوق فاسترخصه البزاز وقال
ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذه عطا وجلس يبكي بكا شديدا
فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد
فقال عطا ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة
وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه
حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا
كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا منه اذا عرضت غدا على الله تعالى
لم يبدو فيها من العيوب والنقصان الذي نحن اليوم عنه غافلون
وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر في غرفة لي
سارعنه اقرا سورة طه فلما ان ختمتها اغفيت اغفاة فرايت
شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها
سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة
واحدة

فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد رايت
هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال السخبري
صدقت قراتها وكتبتها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل
العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي
فقلت لم فعلتم ذلك فقالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله
فذهب ثوابها فهذه هذه   واما شدة الغبن فلمراياة والعجب
انه يقع في خطر فربما يفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان
رجلا اضاف سفين الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق
لا الذي ابتت به الحجة الاولى بل الذي ابتت به في الحجة الثانية
فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه وجه
اخر في الغبن ان قلت طاعة سلمت عن هذا العجب والريا تكون لها
من الله عز وجل من القيمة ما لا نهاية له والكثير لغير اذا اصابها
هذه الافة بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى على ما روي
عن علي رضي الله عنه قال لا يقل عمل لله البتة وكيف يقل عمل
مقبول وسئل النخعي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا
قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان فيمن كان قبلكم رجل
عبد الله سبعين عاما صايما يفطر من سبت الى سبت وطلب

الى الله حاجة فلم يقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان
عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن
ادم ساعتك التي ازريت بنفسك خير من عبادتك التي مضت
قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام البين من الغبن ان واحدا
يكدح ويتعب سبعين سنة واخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكرة
ساعة افضل من سبعين سنة وخيرا اليس من الغبن العظيم انك
تتمكن من ساعة خير من سبعين سنة وتترك ذلك من غير حاجة
بلى والله انه لاعظم الغبن وان اغفاله لاشد خسرانا وان
الخصلة التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر من فواته
ويجتنب ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر اولي الابصار من العباد
في مثل هذه الدقايق واهتموا بمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا
ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم كثرة الاعمال بالظاهر
وقالوا الشان في الصفو لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة
خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكل في هذا الباب نظرهم
جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا
باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام
والشراب في نحو فغرتهم العدد والكثرة ولم ينظروا اما فيها من

المخ والصفوة وما يغني عدد الجوز ولا لب فيها وما ينفع رفع
السقوف ولم يحكم مبانيها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون
بالله المكاشفون والله ولي الهداية بفضله ❊ واما عظم الخطر
فمن وجوه احدها ملك في النهاية بجلاله وعظمته وله عليك نعم
لا تعد ولا تحصى وبدن معيب بعيوب خفية موقوف بآفات
كثيرة وامر مخوف ان وقع ذلك مع تسارع النفس اليه فيحتاج
ان يستخرج عملا صافيا سالما من بدن معيوب ونفس مبتلاة
بالشر امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته
وكثرة اياديه ومننه ويقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفو تك
الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما تصيبك مصيبة
فيه لا طاقة لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم ❊
اما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار القائمين
له بالخدمة اناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى
في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود وبعضهم من هو
في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد
سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله ما دام به صوته
الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة قالوا باجمعهم

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين
واعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر اثني عليك ثناء انت له
اهل فضلا عن ان اعبدك كما انت له اهل فهو الذي يقول
ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعمة والايادي
فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه
يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة دواوين ديوان الحسنات وديوان
السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوفي حسنة
الا اوفى بنعمة حتى تغمر الحسنات وتبقى السيئات والذنوب
فلله تعالى فيها المشيئة واما عيوب النفس وآفاتها فقد قدمنا
في بابها والامر المخوف ان العبد يكدح ويداب سبعين سنة غافلا
عن عيوبه وآفاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب اعواما
فيفسد بساعة واحدة واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر
الله تعالى الى العبد وهو يرائي الناس بعبادته وخدمته جعل ظاهره
لله وقلبه وباطنه للخلق فطرده طردا لا امر له والعياذ بالله ❊
ولقد سمعت العلماء يحكي عن الحسن البصري رحمه الله انه روي في المنام

بعد موته فسئل عن حاله فقال اوقفني الله عز وجل بين يديه وقال
يا حسن اتذكر يوما كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت حسنا لصلاتك فلولا انه اول صلاتك كان خالصا لطردتك
اليوم عن بابي ولقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة
من الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر اولو الابصار فيه فخافوا
على انفسهم حتى ان منهم لمن يلتفت الى جميع ما يظهر للناس من اعماله
حتى حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر لي من اعمالي لا اعده شيئا وقال
اخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك واخر يقول ان امكنك
ان تجعل لك خبيا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة بم
ترجين اكثر ما ترجين قالت بياسي من كثرة عملي وحكي انه اجتمع
محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما طاعة الله او النار
فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار فقال مالك ما احوجني
الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي قال كابدت العبادة ثلاثين
سنة فرايت قائلا يقول لي يا با يزيد خزائنه مملوة من العبادة
ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاذ
ابا الحسن يحكي عن الاستاذ ابي الفضل رحمهما الله تعالى انه كان
يقول اني اعلم ان اعماله من الطاعات غير مقبولة عند الله تعالى

فقيل له في ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا
واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها
قال عسى ان يصلحني الله يوما فتكون النفس معودة لعمل الخير
فلا احتاج ان اعودها ذلك من الراس فهذه حال هولا الاعلام
وذوي المجاهدات والاخطار شعر

فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم وقع الاياس وخابت الامال
هيهات تدرك بالتواني سادة كدوا النفوس وساعد الاقبال

فصل ثم رايت ان اثبت ههنا الخبر الماثور عن الصادق
المصدق صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه في غير كتاب روى
ابن المبارك عن رجل هو خالد بن معدان انه قال لمعاذ رضي الله عنه
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته وذكرته في كل
يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء طويلا ثم قال واشوقاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال
الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين
قال احدثك حديثا ان حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت
حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل

ورب

ان يخلق السموات لكل سماء ملكا وجعل على كل باب من ابواب السماء
ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فيصعد الحفظة بعمل العبد
وله نور ساطع وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا والحفظة
يستكثرون عمله ويزكونه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان
لا ادع عمل من يغتاب الناس يجاوزني الى غيري ثم الحفظة
يجي من الغد معهم عمل صالح له نور يستكثره الحفظة ويزكيه
حتى اذا انتهوا الى السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه هذا اراد به عرض الدنيا وامرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي ويصعد الحفظة بعمل
العبد مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير من البر فيكثره الحفظة
ويزكونه فاذا انتهوا الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا و
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني ربي
ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
ويصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر النجم الكوكب الدري
له دوي وتسبيح بصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء
الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه

صاحبه انا الملك صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه ويصعد الملائكة
بعمل العبد يزف كما يزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا
الى السماء الخامسة بذلك العمل من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس
فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على
ما اتيهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري ويصعد الملائكة بعمل العبد بوضوء تام
وصلوة كثيرة وصيام وحج وعمرة يتجاوز به الى السماء السادسة
فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا وان اصيب عبد شمت به
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري ويصعد الملائكة بعمل
العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلوة وجهاد وورع له صوت
كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة
يقول الملك الموكل بالسماء انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل
اراد به الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء
امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله
تعالى خالصا فهو ريا ولا يقبل الله عمل المرائي ويصعد الحفظة

بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت
وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها
الى الله تعالى فيقفون بين يدى الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح
المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدى وانا
الرقيب على ما فى نفسه انه لم يرد بهذا العمل ولا اخلصه لى وانا اعلم
بما اراد بعمله عليه لعنتى غر الادميين وغركم ولم يغرنى وانا علام
الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا يخفى على خافية ولا يعزب عنى
عازبة علمى بما كان كعلمى بما يكون وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالاولين
كعلمى بالاخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله انما
يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتى ويقول
الملائكة السبعة والثلاثون الاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك
ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم
بكى معاذ وانتحب نحبا شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت
قال يا معاذ اقتد بنبيك فى اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ
بن جبل كيف لى بالنجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان فى عملك
تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة فى الناس وعن اخوانك من حملة
القران خاصة ولتردك عن الوقيعة فى الناس ما تعلم من عيب نفسك

ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك
ولا تراء بعملك كى يعرف فى الناس ولا تدخل فى الدنيا دخولا ينسيك
امر الاخرة ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع
عنك خيرات الدنيا والاخرة ولا تفحش فى مجلسك حتى يحذروك
من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب جهنم قال
والناشطات نشطا تقول تنزع اللحم عن العظام قلت يا رسول الله
من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذى وصفت لك
ليسير على من يسره الله عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس
ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت
قال خالد بن معدان رحمه الله وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما
يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره فى مجلسه فلما سمعت ايها الرجل
بهذا الحديث العظيم بنباه الكبير خطره الاليم اثره الذى يطير له
القلوب وتتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع من
هوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم بالتضرع والابتهال
والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه
لا ينجو من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظره
وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعقل الامر حقه وجاهد

نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والله المستعان
على كل حال فانه خير معين وهو تعالى ارحم الراحمين **فصل**
وجملة الامر انك اذا احسنت النظر فرايت قدر طاعة الله تعالى
ورايت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك
وكن زاهدا في ثنائهم ومدحتهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته
ولا ترد بطاعتك شيئا من ذلك ورايت خسة الدنيا وحقارتها
وسرعة زوالها فلا ترد بها ايضا بطاعتك من الله عز وجل
وتقول يا نفس اثناء رب العالمين وشكره واعزازه خير ام ثناء المخلوقين
العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما
تحملت فيه وما يبلغون حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون
عليك من هو ادون حالا بالف درجة ويضيعونك في احوج
الاوقات وينسونك ان لم يفعلوا ذلك فماذا عسى ان يكون
بيديهم والى ماذا تبلغ قدرتهم ثم هم في قبضة الله سبحانه يصرفهم
كيف يشاء والى من يشاء فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي طاعتك
العزيزة بهم ولا تفوتك ثناء من ثناؤه كل فخر وعطاء من عطاؤه
كل ذخر ولقد صدق القائل

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضايع

وقل يا نفس اجنة الخلد خير ام الحطام من حطام الدنيا وعرضها النكد
الفاني وانت متمكنة من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم
والدين خسيسة الهمة ردية الارادة ودنية الافعال اما
ترين ان الجام اذا كان سماويا كيف يغلو ثمنه ويزداد قدره
فارفعي بهمتك كلها الى السماء وجردي قلبك لله الواحد الذي
بيده الامر كله ولا تضيعي ما ظفرت به من طاعتك بلا شيء و
كذلك اذا احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومنته العظام
عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح
العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق
والتاييد ويسرها عليك وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثا
ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وعن كثرة
نعمه عليك اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب
الجميل الذي لا تستحقه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك
واحبك بذلك خامسا فهذه كلها بفضله العظيم لا غير والا
فباي استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري
ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في
هذه الطاعة واستحيي من ان تلتفتي الى غيره بعد الفضل

والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الدولة
الا التضرع والابتهال الى الله تعالى بان يتقبلها اما سمعت قول
خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل الى الله
تعالى في ان يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء فليتمن عليك بقبول
هذه الطاعة المرجاة فلقد اكمل المنة واعظم النعمة ويالك من
سعادة ودولة وعز ورفعة وكم يرى لذلك من خلعة ونعمة وذخر
وكرامة وان يكن الاخرى فيالك من خسران وغبن وحرمان فاسمع
واشتغل بهذا الشان واذا اطلعت على مثل هذا وكررته على
قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك
عن الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن مراياه والاعجاب
وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر
منة الله تعالى عليك في جميع الحالات وارجو ان يحصل لك طاعات
طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها وعبادات متقبلة
لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعة وان حصلت في العمر مرة واحدة
مثلا لا غير فانها بالحقيقة كثيرة لعمري انها وان قل عددها لقد
كثر معناها وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقباها وبالله التوفيق
وان

١١٤

لمثلها عمره والفضل لله تعالى على العبد الكثير واي هدية اجل من
هدية يقبلها رب العالمين واي سعي اكرم من سعي يشكره ويثني عليه
رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة اجازها ورضيها
رب العالمين فتامل ايها المسكين واياك ان يكون من المغبونين واذا
جرى الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله تعالى الخالصين
الذاكرين للمنة وكنت قد خلفت هذه العقبة وسلمت من افاتها
وسبقت لخيراتها وثمراتها فابرا على الابد بكراماتها وسعاداتها تها
والله تعالى ولي التوفيق والعصمة بمنه

العقبة السابعة عقبة الشكر والحمد

عليك وفقك الله وايانا بحسن توفيقه
بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة
من الافات بالحمد والشكر لله سبحانه على هذه النعمة العظيمة والمنة
الجسيمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني
لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم
وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال جل من
قائل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم

ان النعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة
فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو ثمر الزيادة قال تعالى لئن شكرتم
لأزيدنكم وقال اهتدوا زادهم هدى وقال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق النعمة
من عليه باخرى وراه اهلا لها والا انقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان
دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع
ان اعطاك المصالح والمنافع وهو ضربان الخلقة السوية في سلامتها
وعافيتها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح و
غيرها من فوايدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار
وهي ضربان احدهما في النفس بان سلمك من زمانتها وساير افاتها
وعللها والثانية دفع ما يلحقك من ضرر انواع العوايق او
يقصدك بسوء من انس او جن او سباع وهوام ونحوها واما
النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق
ان وفقك اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان
عصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدع والضلال ثم ساير
المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي انعم عليك
كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعمة

كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من ذلك باب منها ما لا يبلغه
وهمك كلها تتعلق بشي واحد وهي الشكر والحمد لله رب العالمين
وان حصلة يكون لها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه الفايدة
لحقيق ان يتمسك بها من غير اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيميا
عزيز والله ولي التوفيق بفضله فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر
ومعناهما وحكمهما فاعلم ان العلما فرقوا بين الحمد والشكر عند التحقيق
بان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة
والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة
لان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم والحمد اعم واكثر
والشكر اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثنا على احد بالفعل
الحسن هذا مقتضى كلام شيخنا واما الشكر فتكلموا في معناه
واكثروا فعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح ح
لرب العالمين في السر والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا
فقال الشكر هو اداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم يرجع
الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس
عن اختيار معاصي الله عز وجل بحرس على قلبك ولسانك واركانك

حتى لا يعصي الله بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق بين
قوله وبين قول الشيخ الاول انه جعل الاحتراس معنى مشتملا ايضا
على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعصية فهو
الا ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى
يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما وقال شيخنا رحمه الله
ان الشكر تعظيم للمنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفا المنعم
وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه لصح ان يكون
من الله تعالى الشكر للعبد المحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في
كتاب احياء علوم الدين وغيره ولكن التحصيل ان الشكر من
العبد تعظيم يمنع من جفا من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه
وهو حسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه
قلت ان اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته
وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد
اذن من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله تعالى
ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب ذكر نعمه فاذا اتى بذلك
فقد اتى بالمهم الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجده في الطاعة وجهده
وجهده في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلابد من

الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع
الشكر فاعلم ان موضع النعم دينية ودنيوية على المقدار بها واما
الشدائد والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فقد تكلموا في
انه هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد عليها
من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير
قالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر على
تلك النعم المقترنة به دون نفس الشدة وتلك النعم ما قال ابن
عمر رضي الله عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله عز وجل علي
فيها اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم
الرضا واذ ارجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان
تلك الشدة زايلة غير دايمة وانها من الله عز وجل دون غير الله
وان كان بسبب مخلوق فانه لك عليه لا له عليك فاذن يلزم
العبد الشكر عليها لان تلك الشدة نعم على الحقيقة بدليل انها
تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض
كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدايد وانه
نعمة يكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها
من الدواء شديد ويفصدك ويحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر

فتؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفو العيش
فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة
نعمة بالغة في الحقيقة ومنظارم وان كان في صورته مما
ينفر عنه الطبع ويستوحش منه النفس وانت تحمد الذي
تولى منك هذا بل تحسن اليه ما امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد
اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم كيف شكر على الشدائد شكره على
المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء وسر اما ترى كيف يقول
جل جلاله فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله تعالى خيرا فهو
الذي ما يبلغه ويمكن يؤكد هذا القول ان النعمة ليست خيرا عن
اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما هو يزيد في رفعة
الدرجات ولذلك يسمى نعمة من معنى الزيادة واذا كانت الشدة
مما يصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فيكون نعما
بالحقيقة وان كان تعد في الشدائد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك
موفقا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر
افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم
اخص الخواص وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال

تعالى في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه في منزلة الانعام و
الصابر ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر
وقيل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع
منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى
والله يحب الصابرين قلت ان الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا
والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو
من محنة فيصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم
على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما
ذكرنا ان الشدائد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم فانه شكر في الحقيقة
اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله تعالى وهذا هو
الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع
نفسه عن الكفران وصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر
وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله تعالى
حتى منعه تعظيمه عن الجزع مما اصابه وحمله على الصبر فقد شكر
الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع
قصد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة

نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الآخر والى البصيرة
الباعثة عليهما واحد وبهذا يصح الاستقامة في قول بعض علمائنا
فمن هذه الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الآخر في هذه الجملة
وبالله التوفيق **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع
هذه العقبة الكبيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة العوض العظيمة
القدر وتأمل اصلين احدهما ان النعمة انما يعطى من يعرف قدرها الشا كر
ودليل ما قلنا قوله سبحانه وتعالى في الحكاية عن الكفار والرد عليهم
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك
الجهال ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما يعطى من يكون اكثر مالا
واشرف نسبا وحسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء من العبيد والموالي
واعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمهم دوننا فقالوا على سبيل
الاستكبار ومجرى الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم
الله تعالى بهذه النكتة الواعية فقال سبحانه أليس الله باعلم
بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الحكيم انما يعطي نعمة من يعرف
قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه وقلبه فاختارها
على غيرها ولا يعبأ بما يحتمل من اعباء المؤنة في تحصيلها ثم لا يزا ل
قائما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء

يعرفون هذه النعمة ويقومون بشكرها وكانوا اولى بهذه النعمة
منكم فلا اعتبار بغناكم وجاهكم وثروتكم في الدنيا وحشمتكم ولا
نسبكم في الانساب في لا حسبكم انما تحسبون النعمة كلها الدنيا و
حطامها والحسب والنسب وغفلتم ان الدين والحق ومعرفته وانما
تعظمون ذلك وتتفاخرون به اما ترون انكم لا تكادون تقبلون
هذا الدين والعلم والحق الا بمنة على انا كم به ولا استحقاركم ذلك
وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفاء يقبلون انفسهم على ذلك ويبذلون
مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم من عاداتهم مع ذلك ليعلموا انهم
هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها
وهان عليهم فوت كل شيء دونها وطاب لهم احتمال كل شدة
يستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك استاهلوا هذه المنة
الكريمة والنعمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذه
كد ثم اقول وكل فريق من الناس خصهم الله بنعمة من نعم الدين علم
او عبادة فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم
تعظيما واجدهم في تحصيلها واعظمهم في الزامها واقومهم بشكرها
والذين حرمهم ذلك فلقلة حفظهم وتعظيمهم لحقها بعد القدر السا بق
فلو كان تعظيم العلم والعبادة في قلب السوقة والعامة مثل

ماهو في قلوب العلماء والمتعبدين لما اثروا اسوقهم عليهم وهان
عليهم تركها الا ترى ان فقيها اذا ظهر له تعلم مسئلة كانت مشكلة
عليه كيف يرتاح قلبه وتعظم سروره ويحل موقعه من قلبه حتى انه
لو وجد الف دينار ما كان يعدل ذلك وربما يهمه امر مسئلة
في باب الدين فيتفكر سنة بل عشرا بل عشرين والكثر لا يتنكر
ذلك ولا يمل حتى يرى ما رزقه الله فهم ذلك فيعتقده اعظم منة واكبر
نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف ثم ربما
يتبين هذه المسئلة لسوقي او متعلم كسلان يرى من نفسه انه مثله
في الرغبة في العلم والمحبة لله تعالى ولا يستمع اليه حقه وربما ان طال
عليه الكلام يمل وينام وان تبين ذلك له فلا يعده كبير امر وكذلك
المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويذوب بالرياضة وصيانة النفس
عن الشهوات واللذات والجام الاركان في الحركات والسكنات
عسى ان يمن الله تعالى له ركعتين في ادب وطهارة وكم يتضرع الى الله
تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفو وحلاوة فلين ظفر
بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكبر
منة واعظم نعمة وكم يسر ولم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه
من المشقات وكابده من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم يرى الك

رحمهم

برغم انه راغب في العبادة يحب ان يحصل له شيء منها او احتاج
في تحصيل مثل هذه الصفة الى النقصان لقلة في عشائهم او ترك
كله لا يتفق لهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا يسمح انفسهم بذلك
ولا تطيب قلوبهم فان اتفق لهم في النادر حصول عبادة في صفوة
فلا يعدونه اعظم خطير ولا يقدمون في شكرها اذا اعظم سرور
ويكثر بالطاعة حمدهم اذا حصل لهم درهم واستقامت لهم كسوة هم
او طابت لهم حرفة او طالت لهم سلامة البدن رقدة فيقولون
عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله تعالى فاني يساوي هولاء الغافلون
العاجزون اولئك السعداء المجدين المجتهدين في ذلك صار هولاء
المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك المويدون به ظافرين
فايزين ولذلك فتسلم الامر احكم الحاكمين سبحنه وهو اعلم بالعالمين
فهذا تفصيل قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم وارعه
حقه واعلم انك لن تحرم قط خيرا انت تتمناه الا من قبل النفس
فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظيمها حق تعظيمها
فتكون اهلا لها والا عطاياها ثم عن عليك بابقائها كما من عليك
بابتدائها على ما نذكره في الاصل الثاني انه قال الحكيم الاصل الثاني
ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها
الكفور الذي كفرها ولا يودي شكرها

ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها
الآية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي
الجسام في باب الدين ومكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة و
المنزلة الرفيعة على بابنا فيصير فيما عندنا عظيم القدر كثير
الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخبيثة الحقيرة واثر
شهوة لنفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله
تعالى ادنى نعمة من نعم الدين بل جناح بعوضة فكان ذلك بمنزلة الكلب
الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما
الكرامة كلها عنده في كسرة تطعم او عراق بايدة ترمى اليه سواء
تقعده على سرير معك او تقذفه في التراب والقذر بين يديك فهمته
ونعمته وكرامته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر
نعمتنا ولم يعرف حق ما آتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء
في مقام القربة ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر
نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة و
احضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع
خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا من

جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ
بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤف رحيم ثم اقنع
بمثال ملك يكرم عبدا له فخلع عليه خاصة ثيابه وقربه منه وجعله
فوق سائر خدامه وحجابه وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع
اخر القصور وترفع له الاسرة وتنصب له الموائد وتزين له الجواري
وتقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما
وما بين حال الخدمة الى الملك ورتبته القاطعة من نهار او اقل اذ ابصر
هذا العبد بجانب باب الملك سايسا للدواب يأكل رغيفا او كلبا يمضغ
عظما فينشغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله ولا يلتفت الا ما امر من
الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويهديه ويسأله كسرة من
رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه و[illegible] يعظم ما بها فيه
ابين الملك اذا نظر اليه على هذه الحالة يقول هذا السفيه الهمة ولم
يعرف حق نعمتنا ولم يرقد اعزازنا بخلعنا والتقريب الى حضرتنا مع
ما صرفنا اليه من عنايتنا وامرنا له الفخار وضروب الايادي ما هنا
الا ساقط الهمة عظيم الجهل فليسلب النعمة سلب الخلع واطردوه
عن بابنا هذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى
بعدما اكرمه الله عز وجل بعبادته ومعرفة آياته وشريعته واحكامه

ثم هو لم يرض بذلك فيصير الى احقر شي عند الله تعالى فانه تعالى ما اعده ويرغب فيه
ثم يعرض عن علم وتكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع ما اعطى من تلك النعم الجزيلة
من العلم والعبادة والحكم والحقايق ولذلك من خصه الله تعالى بانواع من نعم
وعصمه وزينه بانواع خدمه وعبادته ويديم النظر اليه بالرحمه
والكرامه وقانه وسامى به واعطاه على بابه العيان والوجاهه واحله
محل الشفاعة وانزله منزلة الكرم حتى اذا صار بحيث لو دعاه لاجابه
ولو سأله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه ولو
اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله شي اعطاه قبل ان يسأله
بلسانه فمن كان بمثل حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعمه ولم ينظر
الى قدر هذه المنة فبعد ايه عن ذلك الباب بشهوة نفس رديه لا حياله
او لعقه من الدنيا الدنيه التي لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع
والهدايا والمنن ثم وعد واوعد في الاخرة من الثواب العظيم والنعيم
المقيم فما احقرها من نفس وما اسواه وما اعظم خطره لو علم وما
اخس صنيعه لو فهم نسال الله تعالى البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله
وسعه رحمته انه اللطيف الرحيم فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف
قدر نعم الله تعالى عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت
الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون

بالله تعالى بمن لقيه الدين اما تسمع قوله تعالى لنبيه المرسل صلى الله
عليه وسلم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية تقديره ان من اوتي القران
العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الدنية الحقيرة نظرة باستحلا
فضلا من ان يكون له فيها رغبة فليدم الشكر على ذلك فانها الكرامه
التي حرص خليله ابراهيم عليه السلام ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وعمر
حبيبه المصطفى صلوات الله عليه ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل
واما حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وملحد وزنديق
وجاهل وفاسق الذين هم اهون عليه حتى غرقوا فيه وتصرفه عن
كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله تعالى
عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم بان لا يطعمهم
بقدر ما يحبه قال الله تعالى لموسى عليه السلام ولو شئت ان ازينكم بزينة فرعون
حتى يراها ان مقدرته يعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكم وارغب
بكم عنه ولذلك افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود
الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها
وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي قال الله
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم

يسقطها من فضله فانظر الفرق بين الامرين ان كنت تبصر وقل الحمد لله
الذي من علينا بمنن اوليائه واصفيائه وصرف عنا فتن اعدائه
لنحظى بالنعيم الاوفر والحظ الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى
التي هي الاسلام ثم الايمان والهدى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها
فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو عشت من
اول الدنيا واخرها في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت
تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما منّ لك من الفضل العظيم ثم
واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو
امليت فيه الف ورقة لكان مبلغ علمي فوق ذلك مع اعترافي بان
ما اعلم في جنب ما لا اعلم كنقطة في بحار الدنيا باسرها اما تسمع ويحك
قوله عز وجل لسيد المرسلين ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية
وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى للقوم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اما تسمع قوله عليه السلام وقد سمع رجلا
يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير
على يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته قال على الاسلام قال الان تمت النعمة
وقيل ما من كلمة احب الى الله عز وجل ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول
الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام واياك ان تغفل الشكر

ونعمة ما انت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة
فاياك مع ذلك ان تضع الامن والغفلة فان الامور بالعواقب وكان
سفيان الثوري رحمه الله يقول ما امن احد على دينه الا سلبه وكان شيخنا
يقول اذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك
فان الامر على الخطر ولا تدري ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق
لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الافات
وقال بعضهم يا معشر المغترين بالله هم ان تحتها انواع النقم زين البلية
البس بانواع عصمته وهو عنده في حقائق عداوته وعن علي رضي
كم من مستدرج بالاحسان وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور
بالستر عليه وقيل لذي النون اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف
والكرامات ولذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قيل نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر واليه اشار بقوله
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة
اشد وادق والخطر عليك عظيم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا
فاذا انقلب كان اصعب وقوعا واقبح

٩

مما كان ربطه ان ينفع الاكابر طار دفع ∴ فاذا الاسبيل الى الاوزاعي ان
السكر عن الابتهال في الحفظ بحال وكان ابرهيم بن ادهم يقول اللهم
يا من رد ابرهيم الخليل عليه السلم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم
يوسف الصديق صلوات الله عليه يقول توفني مسلما والحقني بالصالحين
وكان سفين الثوري رحمه الله لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة
يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف انه قال بات سفين الثوري
ليلة يبكي الليل اجمع فقلت ابكا وكله على الذنوب قال فحمل تبنة
وقال الذنب على الله عز وجل اهون من هذا انما اخشى ان يسلبني
الاسلام والعياذ بالله وسمعت انا بعض العارفين يقول ان
بعض الانبيا عليهم السلم سال الله تعالى عن امر لعابد وطرده بعد تلك الايات
والكرامات فقال تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحفظ
ركن الشكر جدا جدا واحمد الله تعالى على منته في الدين اعلاها
المعرفة والاسلام وادناها مثلا توفيق وتسبيح او عصمة عن كلمة
لا تشك عسى ان يتم نعمه عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان
امر الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب
والفراق بعد الوصال وهو تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم ○

١٢٣

فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في نعم الله تعالى
السابغة عليك واياديه الجسام البالغة التي لا تحصرها في الدنيا والاخرة
حين قطعت هذه العقبات الصعاب فوجدت العلم
والصابر وتطهرت من الاوزار والكباير وسبقت العوايق ودفعت
العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فلم يحصل لك فيها
من خصلة شريفة ورتبة منيفة اولها التبصير والتعريف واخرها
التقريب والتشريف فتاملت فيها بمقدار علمك وعقلك وتوفيقك
وشكرت الله تعالى على قدر طوقك بان يشغل لسانك بحمده وثنايه
وملا قلبك بعظمته وبلغك مبلغا حول بينك وبين عصيانه وبعثك
على الخدمة لها امكنك ان يسعه طاقتك معترفا بالقصور من حق انعامه
واحسانه وكلما اغفلت شكره او قصرت او زللت عاودت واجتهدت
وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا ابتدا يا مولاي كما بدات بالاحسان
بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق و
بناديه بندا الاوليا الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته
فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والذلة
ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين ومدوا اليه
الاكف مبتهلين ونادوه في الخلوات متضرعين ربنا لا تزغ قلوبنا

بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فقلت انا والله
اعلم تعدين انا وجدنا منك نعمة فطمعنا في الاخرى لانك انت الجواد
الوهاب فلما ومننت مرة الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام
في الانتها اما تسمع ويحك ان اول دعا علمه رب العالمين عباده
المسلمين الذين اصطفينا ثم من بين جملة هذا الدعا قوله اهدنا
الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا بين ان العرفان
الخطر عظيم وقد قال الحكما انظروا فردوا مصايب العالم ومحنها
الخمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى
بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن في ذلك قول من قال
لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض ::
ولغيره اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير
ذلك في كل نعمة انعم بها عليك وياسد ابدا به في قطع عقبة
من العقبات لتثبت عليك ما اعطى ويزيدك فوق ما تود وتتمنى
فاذا فعلت ذلك كنت قد قطعت هذه العقبة الخطيرة وظفرت
بالكنزين الكريمين العزيزين الذين هما الاستقامة والاستزادة
فيدوم لك النعم الموجودة التي اعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك
من النعم المفقودة التي لم يعط بعد الا تحسن ان تسالها وتتمناها

المزيد كما يطلب العبد ما به شي فلا يجده ولكن اثر امنه ود الى الحاجة
في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك والى يجد
في خمسين واخر في عشر واخر في يوم واخر في ساعة ولحظة بعناية
رب العزة وهو تعالى ولي الهداية لكن العبد مامور بالاجتهاد
فعليه الامر والامر مقسوم مقدر والرب حكيم عدل يفعل
ما يشاء ويريد **فصل** فما اعظم هذا الخطر واشد هذا
الامر وما اكثر ما يحتاج اليه العبد الضعيف في كل هذا التعب
والجهد وتحصيل هذه الشرايط لماذا فاقول انك صادق
في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال تعالى لقد
خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق
لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول
السلف رضي الله عنهم فعن ابي بكر رضي الله عنه قال وددت اني
كنت خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه

انه سمع انسانا يقراها اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا قال ليتها تمت وقال ابو عبيدة وددت اني كنت
كبشا لاهلي فيستعرقون لحمي ويحسون مرقي ولم اخلق وعن وهب
بن منبه خلق ابن ادم احمق لولا حمقه لما هناه عيش وعن الفضيل
اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس
هولاء يعاينون القيمة انما اغبط من لم يخلق وعن عطا السلمي
لو ان نارا اوقدت فقيل من القى نفسه فيها صار لاشي لخشيت
ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالعاقل اذا تاملها الرجل
سديدا كما تقول بل اشد واعظم ما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق
في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز العليم فلا حيلة للعبد
الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال
دائما الى الله عز وجل عسى ان يرحمه الله عز وجل فيسلم بفضله ::
قولك اكل هذا لماذا فهذا كلام يدل منك على غفلة عظيمة
الجواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا
يطلب العبد الضعيف اقل ما يطلبه على كل شان احديه السلامة
في الدارين والثاني الملك في الدارين اما السلامة فان الدنيا و
فتنتها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الا الملائكة المقربون ولقد

سمعت حديث هاروت وماروت حتى روى انه اذا عرج بروح العبد
سالكا الى السماء تقول ملائكة السموات متعجبين كيف نجا هذا من
دار فسد فيها خيارنا وان الامر في اهوالها وشدايدها بحيث
يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى
روى انه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد
ان يسلم من فتن مثل هذه ويخرج منها بالسلامة سالما لا يصيبه فتنة
ومن اهوال مثله فيدخل الجنة سالما لا يصيبه نكبة ايكون ذلك
امرا هينا واما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرفات
والمشية وان ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله واصفيايه
الراضين بقضايه البر والبحر والارض لهم قدم والنجم
والمدر لهم ذهب وفضة والجن والانس والبهايم والطيور
لهم مسخرون لا يشاؤون شيا الا وهو كاين لانهم لا يشاؤون الا
ما شا الله وما شا الله كان زوالها بيد احد من الخلق ويهابهم
كل الخلق ولا يخافون احدا الا الله تعالى ويخدمهم كل شي دون الله
واين ملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل
واما ملك الاخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما
وملكا كبيرا واعظم ما يقول فيه رب العزة جل جلاله انه ملك

كبيرة وانك لو تهم ان الدنيا باسرها ذايلة وان ايامها من اولها الى
اخرها قليل ونصيبك احدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد المنعم
بذلك لم يروح حتى ربما ظفر بقدر قليل من هذا القليل [illegible]
وان حصل ذلك فعن ذلك الغبط ولا تتكدر ما بذل نفسه من المال و
النفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس حيث يقول
بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا
فكيف حال من طلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر
مع ذلك ان يصلي ركعتين لله عز وجل او ينفق درهمين او يسهر
ليلتين كلا بل لو كان له الف الف نفس والف الف روح والف الف
عمر مثل الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان
ذلك قليلا ولئن ظفر بعد بما طلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا
من الذي اعطاه كبيرا فتنبه ايها المسكين من رقدة الغافلين
ثم اني تاملت ما يعطيه الله تعالى العبد اذا اطاعه ولزم خدمته و
سلك هذا الطريق عمره فوجدتها على الجملة اربعين كرامة وخلعة
عشرون منها في الدنيا وعشرون في العقبى اما التي في الدنيا فالاولى
ان يذكره الله ويثني عليه ويكرم بعبده يكون رب العزة جل جلاله في ذكره

فلا يخفى قراتها وكنت حينئذ من العارفين العلماء الذين التابعين
الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان
المتفرغين المستوين بالقلب في الاركان القاصرين الامل الخاشعين
الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين
الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المنة الشاكرين لانعم سيدهم رب
العالمين ثم يصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين
فتامل هذا الكلام والله تعالى ولي التوفيق فان قلت اذا كان
الامر كذلك لقد قل من الناس العامة لهذا المعبود والواصل الى
هذا المقصود من الذين يقوى على قطع هذا الطريق وحصل هذه الشرائط
فاعلم ان الله عز وجل كذلك يقول وقليل من عبادي الشكور
ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون لا يعلمون ثم ان ذلك يسير
على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله الهداية دة
قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان
العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني الكريم الرحيم
فان قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف
يفي العمر حتى يتم هذه الشروط ويقطع هذه العقبات فاعلم
ان العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة ولكن اذا اراد الله تعالى

ان حسبي عبده تقصر عليه طولها وتهون عليه شدتها حتى يقول
بعد قطعها ما اقرب هذا الطريق واقصره وما اهون هذا الامر
وايسره وفي مثل ذلك قلت انا عبده وقوفي على هذه الغاية شعر
علم المحجة واضح لمريده واري القلوب عن المحجة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا
حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من
يقطعها في عشرين سنين ومنهم يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها
في شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق
خاص وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف كان مدتهم خطرة
حيث راوا التعيين في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات
والارض فحصلت لهم المعرفة والبصيرة اما في هذا الطريق من الحقائق
قطعوا هذا الطريق فصاروا مفوضين متوكلين مستقيمين
اذ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وكل ذلك انما
حصل لهم في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون ما كان
مدتهم الا لحظة حيث راوا معجزة موسى عليه السلم فقالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون فابصروا الطريق وقطعوا حقه فصاروا
من ساعتهم الى ساعتهم من افاضل العارفين بالله الراضين بقضاء الله

مطلب

١٢٧

الصابرين على بلائه الشاكرين لآلائه المشتاقين الى لقائه فنادوا
لا ضير انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا ان ابرهيم بن ادهم
كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذا
الطريق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو الروذ حتى صار
بحيث اشار الى رجل سقط من قنطرة في الماء الكثير هنالك
ان قف فوقف الرجل مكانه في الهوا فتخلص وان رابعة البصرية
كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها احد لكبر
سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها
فاختارت هذا الطريق واقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى
زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما
الذي لم يسبق له العناية ولم يعامل بالفضل فيكله الى نفسه فربما
يبقى في شعب من عقبة واحدة سنين ولا يقطعها [illegible]
يصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكله واعسر هذا الامر
واعضله فان الشان كله في اصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم
العدل الحكيم فان قلت لم اختص [illegible]
هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية [illegible]
ينادي من سرادق الجلال ان الزم الادب [illegible] في سر الربوبية

وحقيقة العبودية فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون

قلت انا ومثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة في
عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلايق
فيها فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح
العاصف واخر كالفرس الجواد واخر كالطير واخر يمشي واخر
يزحف حتى يصير فحمة ولم يسمع حسيسها واخر يعفد بكلاليب
يطرح في جهنم فكذا حال هذه الطريق مع سالكيها في الدنيا
فهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فصراط الاخرة
للانفس يرى اهوالها اهل البصاير وصراط الدنيا للقلوب
يرى اهوالها ذوو البصاير والالباب وانما اختلفت الاحوال
للسالكين في الاخرة لاختلاف احوالهم في الدنيا فتامل ذلك حقه

[illegible] **فصل** اعلم ايها المحقق في هذا الباب
[illegible] لهذا الطريق ساطع وقصير مثل المسافات الكاينة التي
[illegible] الانفس فيقطعها بالاقدام فيقع قطعها على قوة الانفس
[illegible] بسلوك القلوب فيقطعه بالافكار
[illegible] اصلها نور سماوي ونظر الهي يقع في
قلب العبد فينظر فيرى بها امر الدارين بالحقيقة هذا

[illegible] الثالثة ان يشكر [illegible] ولو [illegible] كل مخلوق ضعيف
[illegible] عظمك ليس فيه فكيف بملك الاولين والاخرين العالمين انه
[illegible] رئيس محلة او امير بلدة لا يفتخر بذلك [illegible] افتخر به
في مواطن عزه فكيف بمحبة رب العالمين الرابعة ان يكون له وكيلا
يدبر اموره الخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوصله اليه من حال الى
حال من غير تعب او وبال السادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل
عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء السابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش
بحال ولا يخاف التغير والاستبدال الثامنة عز النفس ولا يلحقه ذل
خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها
التاسعة رفع الهمة فيترفع عن التلطخ بمقاذير الدنيا و[illegible]
ولا يلتفت لزخارفها وملاعبها ترفع الرجال الالبا عن لعب
الصبيان والنسوان العاشرة غنى القلب فيكون اغنى من كل
غني في الدنيا الحادية عشر طيب النفس فسيح الصدر لا يفزع لحدث ولا
يهمه عدم الثانية عشر نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى علوم
واسرار وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد
الثالثة عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا لشيء من محن الدنيا
ومصايبها ومن الناس ومكايدهم الرابعة عشر المهابة والوقع

في النفوس بحسب هذه الاخبار والاسرار وبهابه كل فرعون وجبار الرابع عشر
المحبة في القلوب يجعل له الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة
على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه واكرامه الخامس عشر
البركة العامة في كل شيء من كلام او نفس او فعل او ثوب او مكان حتى
يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس فيه يوما من الايام وبانسان صحبه
وراه حينا والسلام السادس عشر تسخير الارض من البر والبحر ان شاء
سار في الهواء او مشى على الماء او قطع بعد الارض باقل من ساعته
السابع عشر تسخير الحيوان له من السباع والوحوش والهوام و
غيرها فتحبه الوحوش وتبصبص له الاسود الثامن عشر ملكه مفاتيح
الارض فحيث ما يضرب بيده فلكنز ان اراد وحيث ما يضرب رجله
فلعين ان احتاج وانما نزل فيما بيده بحضرة ان قصد التاسع عشر
القناعة والوجاهة على باب رب العزة جل جلاله فيبتغي الخلق
الوسيلة الى الله تعالى بخدمته ويستنجح الحاجات من الله تعالى بجاهه
وبركته العشرون اجابة الدعوة من الله عز وجل فلا يسال الله تعالى
شيئا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو اقسم على الله تعالى
لابره باشياء حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى السؤال
باللسان ولو خطر بباله شيء لحصل فلا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه

كرامات الدنيا واما التي في العقبى واما التي في العقبى فالحادية والعشرون
ان يهون الله تعالى عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت منها قلوب
الانبياء عليهم السلام حتى لو سالوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم
من يكون الموت عنده مثل شربة الماء للعطشان قال عز وجل
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الثانية والعشرون التثبيت على
المعرفة والايمان وهو الذي عند كل الخوف والفزع وعليه البكاء والجزع
قال عز من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة الثالثة والعشرون ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان
قوله تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا الاية فلا خوف على ما بعده عليه في
العقبى ولا حزن على ما خلفه في الدنيا الرابعة والعشرون الخلود
في الجنان الخامسة والعشرون الحبوة في التراوح على ملائكة السموات بالاكرام
والالطاف والانعام ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة عليه والمبادرة
الى تجهيزه وحضور ذلك اكبر ثواب ويعدونه اعظم غنم السادسة والعشرون
الامان من فتنة سؤال القبر وتلقين الصواب فيه من ذلك الهول
السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره [illegible] روضة من رياض
الجنة الى يوم القيامة الثامنة والعشرون ايناس روحه ونسمته واكرامها
فتجعل في اجواف طير خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين

بما آتاهم الله من فضله التاسعة والعشرون الحشر في العز والنور امامهم جلل
وتاج وبراق الثلاثون بياض الوجه ونوره قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة
ضاحكة مستبشرة الحادية والثلاثون الامن من اهوال القيامة قال تعالى
امنا يوم القيمة الثانية والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من كفى الكتاب
راسا الثالثة والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا حساب اصلا الرابعة والثلاثون
ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن الخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي
صلى الله عليه وسلم فيشرب منه شربة لا ظما بعدها ابدا السادسة والثلاثون جواز
الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار
السابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة القيامة نحو من شفاعة الانبيا
والوسيلة الثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة التاسعة والثلاثون الرضوان
الاكبر الاربعون لقا رب العالمين اله الاولين والاخرين بلا كيف جل جلاله
ثم اقول اني انا عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه
ومع ذلك فقد اجملت واوجزت وذكرت الاصول في الجمل ولو فصلت
بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى اني جعلت ملك الابد خلعة اجمل
ولو فصلت الدرجات واعرف بعين خلعة من نوع الحور والقصور واللباس
وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب
والشهادة التي من خالقها وما لكها واي مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا

يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وان المفسر يقول في قوله تعالى لنفذ البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة
باللطف والاكرام وما تكون هذه حاله فاني يبلغ جزوا من الف الف
جزو منه وهم بشر ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم
وتقاصرت دونه العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء
العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم
الا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب
وليعلموا ان ذلك كله لاقل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون
واياه يطلبون وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له
في الجملة من اربعه العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم اولا
الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص
العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر ان
الى ان يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق القايل حيث قال
الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون
والعاملون كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم قلت انا والعجب كل العجب من اربعه احدها
من عالم غافل غير عامل اما يهتم لمعرفة ما هو بين يديه اما
يتعرف مما هو مطلع عليه بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلايل